المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

صورةُ المرأةِ في شِعرِ شُعَراءِ العَصرِ الأُمَوي (دِراسَةٌ أُسلوبيَّةٌ)

د. إنتصار مسرهد علي محمد
المديرية العامة لتربية محافظة ديالى
وزارة التربية – العراق
البريد الالكتروني: am.sdsd44@gmail.com

المُلَخَّص

هَدَفَ البحثُ بِشَكلٍ رئيسٍ إلى تسليطِ الضوءِ على صورةِ المَرأةِ في شعرِ شُعراءِ العَصرِ الأموي، بدراسةِ أبعادِ ومَلامحِ هذه الصورة دراسةً أسلوبية؛ وقد أظهر البحثُ أنَّ شعراءَ العصر الأموي افترقوا في تشكيلِ صورةِ المرأة من الناحية الوجدانية، بين مَن رَكَّزَ على الصورةِ العاطفية التي تبحثُ في كنهِ الذات الأنثوية وتسعى إلى فهمِها واستجلاء مكنونِها، وبين مَن رَكَّزَ على الصورةِ الحسيةِ، وسعى إلى رسم تفاصيل المرأة الجسدية، ومِنهم مَن جعل المرأةَ وصورتَها مَركَزًا تدور حوله أشعاره، وبين مَن جعل مِن ذاتِه مَركَزًا تدورُ حولَه المرأة وتسعى إلى تشكيلِ صورتِها وملامحِها المُؤَثِّرَةِ لديه؛ وقد استعمل شُعراءُ هذا العصر التشبيه والاستعارة والكناية، مع الوصف في تشكيلِ أبعادٍ مُتَعَدِّدَةٍ للصورةِ الحِسّية للمرأة تراوحت ما بين الصورة البصرية والسمعية والذوقية والشمية واللمسية، مُمتّدة مَلامحها ومُكَوّناتها إلى الكُثَيِّر مِن عناصر الطبيعة، كما تميزت أسلوبية الشعر في العصر الأموي بلُغةٍ شعرية لَيّنة ويَسيرة، ابتعد فيها الشعراءُ عن الألفاظ الغريبة، واستعمَلوا لُغةَ الحياةِ اليومية، وهذا ما جعل صورةَ المرأةِ الحِسّية أكثرَ وضوحًا، وأكثر تعبيرًا عن المضمون الوجداني الذي يقفُ ورائِها.

الكلمات المفتاحية: صورةُ المرأةِ، الشُعَر الأُمَوي، العصر الاموي.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
2021 أبريل (20) العدد
Volume (20) April 2021
IJOHSS

The Image of the Woman in the Poetry of the Poets of the Umayyad Era (Stylistic study)

Dr. Intisar Maserhad Ali Muhammad
Directorate General of Education Diyala Governorate
Ministry of Education - Iraq
Email: am.sdsd44@gmail.com

ABSTRACT

The research mainly aimed to shed light on the image of women in the poetry of poets of the Umayyad era, by studying the dimensions and features of this image in a stylistic study; The research showed that the poets of the Umayyad era differentiated in the emotional formation of the image of women, between those who focused on the emotional image that searches for the essence of the female self and seeks to understand it and clarify its content, and between those who focused on the sensual image and sought to draw the details of the physical woman, and some of them Making the woman and her image a center around which his poems revolve, and among those who have made himself a center around which the woman revolves and seeks to form her image and influential features for him; The poets of this era used metaphor, metaphor and metaphor, with the description in the formation of multiple dimensions of the sensual image of women, ranging from visual, auditory, gustatory, olfactory and tactile images, extending their features and components to many of the elements of nature, as well as the stylistic language of poetry in the era. The poets used strange expressions and used the language of everyday life, and this is what made the image of the sensual woman more clear and more expressive of the emotional content behind her.

Keywords: the image of the woman, matrilineal poetry, the Umayyad era.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

المُقَدِّمَة

لطالَما كانت المرأةُ موضوعًا للشعرِ والشعراءِ في كُلِّ زمانٍ ومَكان، ولاسيما أنَّ الشعرَ بطبيعتِه يُجَسِّدُ تِلك المُحاوَلات الدائمَةِ والمُستَمرَّةِ لِفَكِّ أسرارِ المَرأةِ واكتشافِ خَفايا طَبيعَتِها الأُنثَوية التي ظلَّت غامِضةً ومُستَعصيةً على الوضوح، ليس بالنسبة للرجل، بل وحتى بالنسبةِ للمرأةِ نفسِها؛ وقد أسهم هذا الغموض في جعلِ المرأة مَركَزًا تدورُ حولَه أغلبُ القصائد والأعمال الشعرية في مختَلَفِ البيئات والعصور؛ ابتداءً من العصر الجاهلي، وانتقالًا إلى عصر صَدْرِ الإسلام، ومِنه إلى العصر الأموي وإلى اليوم، فضلًا عن الأُطُرِ المكانيةِ التي تُلازِم البعد الزمني والتاريخي بلا انفصال.

لقد أسهمَ الإسلامُ في إعادَةِ النظرِ بالكثيرِ مِن القيمِ الاجتماعيةِ التي كانت سائدةً في المُجتمع العربي، فزعزعَ الثابت، وشكّك بالبديهيات، وأحلَّ بعضَ القيمِ التي رفعتْ مِن شأن المرأةِ وبَنَت شخصيّتها ومَنحتها حريَّتَها مِن جهة، ومِن جهةٍ أخرى فرضتْ عليها بعضَ القيودِ الدينيةِ أو الاجتماعيةِ التي تَحِدُّ مِن نشاطاتِها وتضبطُ سلوكَها.

وقد ورثَ العصرُ الأموي هذه القيم، وارتدَّ اجتماعيًا إلى بعضِ القيم الجاهلية، بالإضافة إلى القيم التي استجدّت بفعل العوامل الحضارية والاقتصادي والسياسية التي ألقت بظلالِها على المُجتمعِ كُلِّه وعلى المرأةِ بشكلٍ خاص، فأعادت المرأةُ نظرتَها إلى ذاتِها، كما أعاد المجتمعُ نظرتَه إلى المرأةِ بوصفِها جزءًا مُهمًّا وفاعلًا في المُجتمع. وكان الشعرُ في هذا العصرِ وثيقةً تاريخيّة مُعتَبَرة؛ فقد تناولَ المرأةَ في جميعِ أغراضِه، وسجّلَ لنا هذا التحوّلَ الكبيرَ في مكانتِها، ورسمَ لنا صورتَها في المُجتمع، تارةً بصورةٍ مباشرةٍ، وتارةً أخرى بصورةٍ ضمنيةٍ تَضمرُ الكثيرَ مِن الأنساقِ التي تتطلّبُ قراءةً وتحليلًا يكشفُ عمّا تُخبّئه وراءها مِن قيمٍ مُستَحدَثَةٍ ومكانةٍ جديدةٍ وحريةٍ أتاحت للمرأة التحرّكَ بموجبها.

وسيُعنى هذا البحثُ برصدِ التحوّلات الحاصلة في صورة المرأة، التي جاءت نتيجةً وانعكاسًا لتلك التحوّلات الحضارية والاقتصادي والسياسية؛ لذا سيُعنى الفصل الأول مِنه بالكشف عن مكانة المرأة في المُجتمع بشكلٍ عام، وتسليطُ الضوءِ على أنشطتها العامّة: اجتماعيًا وأدبيًا، ويأتي الفصل الثاني لاستجلاء صورتَها التي ظهرت بها في الشعرِ السياسي. وسيتضافرُ الفصلان في رَسمِ أبعادِ صورةِ المرأةِ والكشفِ عن مَلامحها كما صوّرها لنا شُعراءُ العصرِ الأمَوي.

وقبل الولوجِ إلى صُلبِ الدراسةِ تجبُ الإشارةُ إلى أنَّ البحث في صورةِ المرأةِ في الشعرِ الأموي لا يُعَدُّ موضوعًا جديدًا، نظرًا للاهتمام الوافر الذي حَظِيَ به مِن قِبَلِ الدارسين والباحثين، إذ أمكَن للباحث أنْ يَرصُدَ العديدَ مِن الدراسات السابقة التي تطرَّقَت إلى هذا الموضوع بالتحديد[1]، ولأنَّ الكمالَ مِمّا لا يُمكنُ أنْ يُصيبَه أيُّ جهدٍ أو عملٍ إنساني، بقدرِ ما يُمكنُ الاقتراب مِنه بتضافر الجهود المختلفة، ولأنَّ غاية البحث العلمي الرَّصين تنصرفُ بالأساسِ إلى تقديمِ إضافةٍ عِلميةٍ ومعرفةٍ جديدة، فقد وجدَ الباحثُ أنَّ مُعظَم تلك الدراسات لم تكشف عن

(1) من أهم تلك الدراسات:
1- صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، خليل محمد حسين عودة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر، 1981م.
2- عناصر الصورة الفنية في الغزل العذري في العصر الأموي: أحمد حسن أحمد صبره، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، 1985م.
3- صورة المرأة في شعر الغزل الأموي: رفيق عطوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
4- صورة المرأة في الشعر الأموي: محمد حسن عبد الله، ذات السلاسل، الكويت، 1987م. وصورة المرأة في الغزل العذري حتى نهاية القرن الثاني الهجري: ابتسام أحمد إبراهيم الحيني، رسالة ماجستير، جامعة طنطا، مصر، 1989م.
5- المرأة في الشعر الأموي- دراسة: فاطمة تجور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999م.
6- صورة المرأة في الشعر الأموي: أمل نصير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م.
7- صورة المرأة في شعر الأخطل وجرير والفرزدق: مزاحم علي عشيش بعاج، دار اليراع للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م.
8- صورة المرأة في شعر الخوارج في العصر الأموي: محمد دوابشة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد (26)، العدد (1)، 2007م.
9- صورة المرأة الحجازية في الشعر الأموي: فداء عدنان أبو فردة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2018م.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

صورة المرأة في الشعر الأموي كما رسمها لها الآخَر/ الرجل، أو كما رسمتها هي لنفسها على لسان بعضِ شواعرِ ذلك العصر؛ ومِن ثَمَّ، فقد رأى الباحث أنَّ في ذلك فجوةً تستلزمُ بالضرورةِ مُحاوَلةَ مَلئِها وسَدِّ فَراغِها في سياقٍ مُكَمِّلٍ للجهود السابقة.

المبحث الأول
صورة المرأة في المُجتَمَع

تُمَثِّلُ المرأةُ قيمةً أصيلةً وتحتَلُّ مكانةً جوهريةً في بِنيَةِ المُجتمع؛ فهي الأمُّ والأختُ والبنتُ والزَّوج، وهي بهذه المكانة وبما تمتلكه مِن إمكانات وقدرات وبما تمتازُ بها شخصيتها، قادرةٌ على أنْ تترك آثارًا واضحةً لدى الآخَر/الرجل، لذلك كانت على الدوام موضوعًا أساسيًا في حياة الرجل، واحتَلَّت حّيّزًا كبيرًا في مجال انشغالاته الأدبية والفنية، وقد أمعنَ الشعراءُ في رسمِ صورةِ المرأة، ورصدوا دورها في الحياة اليومية، ولمعرفتهم بمكانتها الحسّاسة في المُجتمَع اتّخذوا مِنها مادةً للفخرِ والمدحِ أو الهجاء؛ بوصفها رمزًا لشرفِ الأسرةِ ومِعيارًا لِمَنَعَةِ القبيلةِ وشجاعةِ رِجالها.

فقد سجَّلَ لنا الشعراءُ افتخارَهم بأمّهاتِهم واعتزازَهم بالانتسابِ إلَيهنَّ؛ لِما يملكْنَهُ مِن عِفّةٍ وكرامةٍ، ولانتسابِهنَّ لأرومَةٍ عريقَة، مِن ذلك ما أوردَه الطبري في تاريخِه، عن النزاع الّذي حصلَ بين عتبة وعنبسة ابنَي أبي سُفيان، وكان عتبة ابن هند أمّا عنبسة فأمُّه ابنَةُ أبي أزيهر الدروسي، وقد مالَ معاوية لأخيه عتبة وأغلظَ لعنبسةَ وقال له –مُفاخِرًا بأمِّهما هند، ومُنتقصًا مِن أمِّ عنبسة- إنَّ عتبةَ ابنُ هند، فقال عنبسة:

كُنّـــا بخيـــرٍ، صـــالحًا ذاتُ بَينِنـــا ... قـــديمًا، فأمسَـــتْ فَرَّقَـــتْ بيننـــا هِنـــدُ
فـــإنْ تَـــكُ هِنـــدٌ لـــم تَلِـــدْني فـــإنَّني ... لِبَيضـــاءَ يَنميهـــا غطارِفَـــةٌ نَجـــدُ
أبوهـــا أبـــو الأضـــيافِ فـــي كُـــلِّ شـــتوةٍ ... ومَـــأوى ضـــعافٍ لا تنـــوءُ مِـــن الجهـــدِ[1]

فهو يفتَخِرُ بأُمِّه وعراقَةِ نسَبِها وعزَّةِ أهلِها وكرَمِهم، وفي المُقابل يُعَرِّضُ بهند. وهذا يُسجِّلُ لنا قيمةً جديدة في هذا العصر؛ تكون فيها المرأةُ سببًا لفخرِ الرجال واعتزازِهم بالانتسابِ إليها، فحين تساوَى الأخوةُ في الانتساب لأبٍ واحد، راح كُلٌّ مِنهما يفتخرُ على أخيه بأمِّه وأهلها. ولشياع هذه القيمة في هذا العصر إنَّنا نجدُ الأمّ أصبحتْ مادةً شعرية توَظَّفُ في قصائد المدح، يَفخَرُ بها الممدوحون، بل يَدعون لها أحيانًا ويربطون عطاءَهم بها؛ كما فعلَ عبد العزيز بن مروان حين اشترط على الشعراء ذِكْرِ والدتهِ ومدحِها لينالوا عطائه، فنَسَبَهُ الشاعرُ نصيب إلى أمِّه بقوله[2]:

وإنَّ وراءَ ظهري يا ابنَ ليلى ... أُناسًا ينظرون متى أؤوبُ

وعلى هذا النَّهجِ سار العديدُ مِن الشعراءِ، حتى أصبح وكأنّه تقليدٌ شعريٌّ يتقرَّبُ فيه الشُعراءُ إلى ممدوحيهم لينالوا عفوهم أو عطاءَهم أو القُربَ مِنهم، كما فعلَ الكُميتُ في مَدحه لعبد الملك بن مروان، حين خاطبه بقوله[3]: **لقد جمعَتْ بيني وبينك نِسوَةٌ ... عَقائِلُ ما إنْ مِثلَهُنَّ عَقائِلُ**

فمدحه بأُمِّه وجَدّاته، وقد أحسنَ الشاعرُ حين أشركَ نفسه بهذا الانتساب؛ ليمدَح نفسَه مِن جهة، ولِيُذَكِّرُه بالقَرابة بينهما وما تستوجبه صِلَةُ الرَّحِمِ مِن جهةٍ أخرى. وهذا يقودُنا للحديثِ عن دورِ المرأةِ في التقريب أو التخريب بين القبائل، الأمرُ الّذي أدركه الأمَويّون فَعَمَدوا إلى مُصاهَرَة بعضِ القبائل القوية؛ ليكسَبوا تأييدَهم وولاءَهم ومُساندتهم في تثبيتِ أركانِ حُكمِهم وتقويةِ نفوذِهم السياسي والاجتماعي، ومِن أهمِّ القبائلِ التي صاهرَها الأمَويّون قبيلة كلب اليمانية، التي تُعَدُّ مِن أقوى قبائل الشام وأوسعها نفوذًا وأكثرها عددًا؛ لذلك فإنَّ "عثمان تزوّجَ بنائلة بنت الفرافصة، وتزوَّجَ مُعاوية ميسون بنت بحدَل الكلبية وهي أمُّ ابنِهِ يزيد، وكذلك تزوَّجَ مروان بنُ الحَكَم ليلى بنت زبان بن الأصبغ الكلبية وهي ابنَةُ عَمِّ نائلة. وقد استغَلَّ مُعاوية ذلك في حربِهِ لِعَلي؛ لأنَّ الصهرَ عند العربِ كالنَّسَب، ووسَّعَ استغلاله إذ ضَمَّ تحت لوائِه جميع القبائلِ اليمَنيّة الشاميّة"[4].

ولعلَّ مسألة الإصهار مِن القبائل لكسب تأييدها وضمان نصرتها أمرٌ شائعٌ عند العربِ منذُ العصر الجاهلي، واستمرَّ حتى في صدر الإسلام، ولكنَّ الظاهرة اتَّسعت في العصر الأموي؛ لكثرة النزاعات السياسية

(1) يُنظر: تاريخ الرسل والملوك: 333/5.
(2) يُنظر: الأغاني: 135/1.
(3) شعر الكميت: ص12.
(4) العصر الإسلامي: ص203.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

والمذهبية التي جنّدَت كُلَّ الأدوات في سبيل كسبِ الخَصمِ والانتصارِ عليه، فكانت المُصاهرةُ واحدةً مِن أهمِّ تلك الأدوات، وكان سلاحُها المرأةَ الكفؤ، فارتفعَ بذلك شأنُها، واحتَلَّت مكانةً عَليّةً في مُجتمَعها، ولكنَّها -مع ذلك- لا تعدو كونها وسيلة توظّفُها السلطةُ في حربِها وكسبِ نفوذِها، وتتقرَّبُ بها الأُسَرَ والقبائلُ مِن السَّلطة مِن أجلِ المُكتَسَبات، وربَّما مِن أجلِ حَلِّ النّزاعات أو تخفيف حِدَّتِها؛ مِن ذلك ما ينقله لنا صاحبُ العِقدِ الفريد مِن قصّةِ خالدِ بن يزيد وتبدّل مَوقفِه تجاه الزُّبَيريين بعد مُصاهَرتِهم، فصاروا أحَبَّ النّاسِ إليه بعد أنْ كانوا العدو الأكبر له وللأُمَويين، وقد عبَّر هو عن هذا المعنى بقوله[1]:

أُحِبُّ بَني العَوّامَ طُرًّا لِحُبِّها ومِن أجلِها أحبَبتُ أخوالَها كَلبا

وبسبب تجربته هذه، حذّر عبد الملك بن مروان مِن عاقبة مُصاهَرة الحَجّاج لبَني هاشم، وخَوَّفه مِن تبدُّلِ مشاعرِه تجاههم، فاستجابَ له عبدُ الملك وأرغمَ الحَجّاج على تطليق بنت عبد الله بن جعفر[2]. ويبدو أنَّ الحَجّاجَ أدركَ المَغزى وآمَنَ به؛ لذلك حرصَ على الزواج مِن القبائل اليمنيّة والمُضَريّة ذات الوَلاء الهاشمي، كما عمَدَ إلى تزويج ابنه محمد مِن ميمونة بنت محمد بن الأشعث الكِندي؛ ليستميلَ أهلها إلى جانبه، وزوَّج أختَه زينبَ مِن ثقيف للسبب نفسه[3].

ومثلما كانت المرأةُ سببًا في التقريبِ بين القبائلِ كانت في بعضِ الحالات سببًا في التخريب ونشوب الصراعاتِ بينها، أو أنَّها تكون مادةً للهجاء القَبَلي، على نحو المهاجاة التي دارت بين الكميت الأسدي وهو مِن مُضَر وحكيم بن عيّاش الكلبي وهو مِن الشام، إذ قال الأخير:

"مـا سَـرَّني أنَّ أمّـي مِـن بَنـي أسَـدٍ وأنَّ ربّـيَ نجـاني مِـن النّـارِ
وأنَّهـم زَوَّجـوني مِـن بنـاتِهمُ وأنَّ لـي كُـلَّ يـومٍ ألـفَ دينـارِ

فردَّ عليه الكُميت بإهانَةِ أُمِّه وتفنيد ادّعائه بانتسابها إلى بني أسد، فقال:

يـا كلـبُ مالَـكَ أمٌّ مِـن بنـي أسَـدٍ معروفـةٌ فـاحتَرِقْ يـا كلـبُ بالنّـارِ
لكـنَّ أُمَّـكَ مِـن قـومٍ شُـنِئتَ بهِـم قـد قنّعـوكَ قِنـاعَ الخـزي والعـارِ[4]"

ومثلُ هذه الصورةِ نجدُها في نقائض جرير والفرزدق، حيث كانت المرأةُ مِحورَ الصراع ومادةَ الهجاء، فحين تزوّجَ الفرزدق حدراء بنت زيق، وعلِمَ أنَّ جريرًا كان يُنافسه على خِطبَتِها، فخرَ بالظّفر بها وبالمهرِ الذي قدَّمه لها، وهجا جريرًا مُرًّا وسَخِرَ مِنه، ثمَّ انتقل إلى الهجاء القَبَلي، ورأى أنَّ جريرًا وقبيلتَه ليسوا أكفاءً ليتزوّجوا مِن الأحرار، فقال[5]:

فلـو كُنـتَ مِـن أكْفـاءِ حَـدراء لـم تَلُـمْ علـى دارمـيٍّ بـين ليلـى وغالـبِ
فَنَـلْ مِثلَهـا مِـن مِـثلِهم ثُـمَّ لُمْهُـمُ بِمـا لَـكَ مِـن مـالٍ مـراحٍ وعـازبِ
وإنّـي لأخشـى إنْ خطبـتَ إلَـيهمُ عليـكَ الّـذي لاقـى يسـارُ الكواعـبِ
ولـو قُبِلـوا منّـي عطيّـةَ سُـقتُهُ إلـى آلِ زيـقٍ مِـن وصـيفٍ مقـاربِ
هُـم زَوَّجـوا قَبلـي ضِـرارًا وأنكحـوا لقيطًـا، وهـم أكْفاؤنـا فـي المناسـبِ
ولـو تُـنكِحُ الشـمسُ النجـومَ بناتِهـا إذًا لنكحْنـاهُنَّ قبـلَ الكواكـبِ
ومـا اسـتعهدَ الأقـوامُ مِـن زوجِ حُـرَّةٍ مِـن النّـاسِ إلّا مِنـك أو مِـن محـاربِ

فالمرأةُ مِحورُ هذه الأبيات، بل هي مُناسبة القصيدة؛ إذ كُتِبَتَ للفخرِ بها وبمُصاهرةِ أهلها لِما لهم مِن عِزَّةٍ وكرامةٍ تمنعانهما مِن مُصاهرَةِ غير الأكْفاء، وهذه الصورة مِن الفخر تُعَدُّ مِرآةً تعكسُ النظامَ الاجتماعيَّ السائدَ آنذاك، وهو نظامٌ قائمٌ على التمايزِ الطبقي والاعتزاز القَبَلي، ولأنَّ المرأةَ جزءٌ مِن القبيلة وحلقةُ الوصلِ بين القبائل راح بعضُ الشعراء يتفاخرون بالتزاوج بين القبائل المُتكافئة، ويأنفون مِن الإخلال بهذه القيمة الاجتماعية ويُحذّرون مَن يشذُّ عنها مِن قبيلتهم، كما فعل الأحوص حين رفض زواج ابنة معمر بن زيد التي زَوَّجها مِن شخصٍ صاحبِ سلطان، وحرّضه على تطليقِها مِنه قبل أنْ تلدَ فيكون ذلك عارًا عليهم بعد أن كانوا لا يُصهرون

(1) العقد الفريد: 122/6.
(2) يُنظر: العقد الفريد: 122/6.
(3) يُنظَر: الحضارة العربية الإسلامية: ص121.
(4) تاريخ النقائض في الشعر العربي: ص195.
(5) ديوان الفرزدق: ص112.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

بناتِهم إلّا للزعماء والسادة، وقد افتخر بأجداده ومُصاهراتهم القديمة؛ ليحتجَّ لصحّةِ موقفه في رفضِ هذا الزّواج فقال[1]:

يـا مَعمـرٌ يـا ابـنَ زيـدٍ حـين تُنْكِحُهـا ... وتَسـتَبِدُّ بـأمرِ الغَـيِّ والرَّشَـدِ
أَمَـا تَـذَكَّرتَ صـيفيًّا فَتَحفَظَـه ... أو عاصـمًا أو قتيـلَ الشِّـعْبِ مِـن أُحُـدِ
أَبَعـدَ صـهرِ بَنـي الخَطّـابِ تجعلُهُـمْ ... صِـهرًا، وبعـدَ بَنـي العَـوّامِ مِـن أَسَـدِ
هِيْهـا سَـلِيلَةَ خَيـلٍ غَيـرِ مُقْرِفَـةٍ ... مظلومَـةً حُبِسَـتْ لِلقَيرَفـي الجَـدَدِ
فَكُـلُّ مـا نالَنـا مِـن عـارِ مَنكَحِهـا ... شِـوىً لَـو فارقَتـهُ وَهْـيَ لَـم تَلِـدِ

إذن، فالرّفض لم يكُنْ لِخِلَّةٍ بالرجل، بل هي الطبقية التي سادت المجتمع، والعنصريّة التي يُغذيها الاعتزاز القومي العروبي؛ فالفتاةُ عربيةٌ أصيلةٌ وزوجُها قَيرَفي، والمُقرف هو ما كان مِن الخيلِ أو البشرِ مِن أُمٍّ عربيةٍ وأَبٍ غيرِ عربي.

كما تكشفُ لنا أبيات الفرزدق السابقة عن صورةٍ أُخرى مِن صور المرأة تعكس قيمةً اجتماعيةً سلبيةً أُخرى، وهي غلاء المهور والافتخار بدفعها بوصفها دليلًا على مكانة العالية للمرأة ورِفعَةِ أُسرَتِها، وهذا ما صوّره الفرزدقُ نفسُه في بعضِ نقائضه مع جرير، مِن ذلك قوله[2]:

فقـالوا سَـمِعْنا أنَّ حَـدراءَ زُوِّجَـتْ ... علـى مئـةٍ شُـمٍّ الـذرى والغرائـبِ
وفينـا مِـن المِعـزى تِـلادٌ كأنَّهـا ... ظفاريَّـةُ الجِـزعِ الَّـذي فـي التّرائـبِ
بِهِـنَّ نُكحنـا غاليـاتِ نِسـائنا ... وكُـلُّ دَمٍ منّـا علـيهِنَّ واجـبُ

فهو الزَوجُ الكُفء، والصهرُ القادرُ على دفع المهر العالي لنساء الأسَر الكريمة، وكذلك نِساءُ قومِه مهورُهنَّ عالية، تُدفَعُ مِن الإبلِ الكريمةِ الباهظةِ الثَّمَن، بخلاف جرير؛ فإنَّ مهورَ نِساءِ قومِه تُدفَعُ مِن الماعزِ أو بِدِيّاتِ القَتلى. إذن، فصورةُ المرأةِ التي نستطيعُ استجلائها مِن هذه الأبيات وأمثالِها، أنَّ المرأةَ نالَت الحَظوَةَ في أُسرَتِها وقبيلَتِها، واحتلَّت مَكانةً سامِقةً في مُجتمَعِها، وهذه المكانةُ تتناسبُ طرديًا مع مهرِ زواجِها؛ فكُلَّما ارتفعَ شأنُ المرأةِ ارتفعَ مَهرُها، وكأنَّ المهر العالي أصبح مِعيارًا لشرفِ المرأةِ وعلوِّ مكانتِها! ولعلَّ بعض الأُسر استغلَّت هذه الظاهرة فزوّجَتْ بناتها لذوي الأموال مِن دون الالتفات إلى مبدأ التكافؤ، وهذا ما سجَّله لنا الفرزدقُ حين وبَّخَ رجلًا مِن قبيلته لأنَّه زوَّج ابنته لِرجُلٍ مِن نهشل، فقال:

أَأَنكحتَ ليلى نَهشَليًا لِمالِه ... هُبِلْتَ، وكانَتْ في قُرَيشٍ مَناكِحُ[3]

إنَّ ارتفاعَ المهرِ يُصَوِّرُ لنا حالةَ البَذخِ والتَّرَفِ التي وصلَتْ إليها بعضُ طبقاتِ المُجتمع الأموي يومئذ[4]، وبلا شك، إنَّ ارتفاعَ المهرِ مُخالِفٌ للشريعةِ الإسلاميةِ التي حَثَّت على تقليلِه، حتى وَرَدَ في الأثرِ عن رسولِ الله (ص): "أفضلُ نساءِ أُمَّتي أصبَحُهُنَّ وَجهًا، وأقَلُّهُنَّ مَهرًا"[5]. كما أنَّه مُخالفٌ للعُرفِ السائد وللأحوالِ

(1) شعر الأحوص الأنصاري: ص110.
(2) ديوان الفرزدق: ص59. وفي البيت الثالث إقواء.
(3) يُنظر: أمالي ابن دريد الأزدي: ص105.
(4) وردت قصص كثيرة في كُتبِ التاريخ عن ارتفاع المهور في هذا العصر، ولاسيما المهر الذي يدفعه أصحاب السلطة أو رجال الحاشية، كما فعل الحَجّاجُ مع بعض نسائه، فقد بعث مئةَ ألفِ دِرهم وثيابًا كثيرةً إلى عروسه هند بنت أسماء، أو كما فعل مصعب بن الزبير حين أمهرَ سكينة بنت الحسين (ع) خمسمائة ألف درهم وأهداها مثلها، وكذلك فعل عمر بن عُبَيد الله حين دفع لعائشة بنت طلحة مليون درهم، نصفُها صداقها والنصف الآخَر هديةً لها، ومِن الشعراءِ مَن صنع مثلَ هذا الصنيع، فقد دفع الفرزدقُ للنَوار مئة ناقة حمراء مهرًا لها. يُنظر: الحضارة العربية الإسلامية: ص121.
(5) مَن لا يحضره الفقيه: 385/3.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

الاقتصاديةِ لعامّةِ الناس؛ لذلك نجدُ الكثيرَ مِن الشعراءِ رفعوا أصواتَهم بالشكوى والرّفض لهذه الحالة، فها هو كثير عَزَّة يُسجِّل لنا هذه الظاهرة التي تسبَّبت في كثيرٍ مِن الأحيان بالحيلولةِ بين العاشقين، فيقول[1]:

ولَمّـــا رأتْ وَجـــدي بهـــا وتَبَيَّنَـــتْ ... صَـــبابَةَ حَـــرّانِ الصَّـــبابَةِ صـــادِ
أَدْلَـــتْ بِصَـــبرٍ عِنـــدَها وجَـــلادَةٍ ... وتَحْسَـــبُ أنَّ النـــاسَ غَيـــرُ جـــلادِ
فيـــا عَـــزُّ صـــادي القلـــبَ حتـــى يـــودَّني ... فـــؤادُكِ، أو رُدّي عَلَـــيَّ فـــؤادي
وإنَّ الّـــذي يَنـــوي مِـــن المـــالِ أهلُهـــا ... أوْراكُ لَمّـــا تـــأتَلِفْ وعـــوادي

فهو يُعلِنُ صراحةً عجزَهُ عن دفعِ المهر المُبالغ به الّذي طلبَه أهلُها مُستغلّين حُبَّه لها، وغير مُلتفتين لمُستقبَل هذا الحُب، ونراهُ يلومُها أيضًا على مُساندةِ أهلها أو السكوت عنهم، ويُشَكِّكُ بحُبِها، ويُهَدِّدُها بالصبرِ والتجلّدِ على فراقِها كما تفعل.

ولم يقتصر الموقف الرافض لهذه الظاهرة على عَوام الناس فحسب، بل رفضه حتى بعضُ ذوي الشأنِ مِن القادة والمُتنفذين في السلطة، كما فعل أنسُ بنُ زنيم، وهو مِن قادة الجيش الزبيري، حين بعث أبياتًا لعبدِ اللهِ بنِ الزبير بشأن المَهرِ الّذي دفعَه أخوه مُصعب للسيدةِ سكينة بنت الحسين (ع)، مُعتَرِضًا على صرف الأموال مِن أجل المُتَع الشخصية والمَلَذّات بينما يعاني قادَةُ الجيشِ مِن الجوع، فقال:

أبلِـــغْ أميـــرَ المـــؤمنينَ رِســـالَةً ... مِـــن ناصِـــحٍ لـــكَ لا يُريـــدُ خِـــداعا
بِضْـــعُ الفتـــاةِ بـــألفِ ألـــفٍ كامـــلٍ ... وتَبيـــتُ قـــادَاتُ الجيـــوشِ جياعـــا[2]

إنَّ مِن عَلامات سمو مكانة المرأةِ في هذا العصرِ افتخار الرجالِ بزوجاتِهم وانتسابهنَّ إلى الأُسَرِ الكريمةِ والقبائلِ العزيزة، كما فعل الشاعرُ العَرجي حين افتخرَ بزوجه أمّ عثمان بنت بكر بن عمرو بن عثمان وبأُمِّها سكينة بنت مصعب بن الزُّبَير وبنسبها العريق فقال[3]:

إنّهـــا بِنـــتُ كُـــلِّ أبـــيَضٍ قَـــرْمٍ ... مَلَـــكٍ نـــالَ مِـــن قُصَـــيٍّ ذُراهـــا
وبَنـــى المَجـــدَ صـــاعِدًا فَعَلَتْـــهُ ... عبـــدُ شـــمسٍ وهاشـــمٌ أبواهـــا
فهـــيَ لا تُـــدرِكُ النِّســـاءَ بِســـعيٍ ... أبـــدًا حـــينَ يَفخَـــرون مَـــداها
أُمُّهـــا البَـــدرُ: أُمُّ أروى فَنالَـــتْ ... كُـــلَّ مـــا يُعْجِـــزُ الأكُـــفَّ يـــداها
وبحَسْـــبِ الفتـــاةِ قُرْبًـــا مِـــن المَجـــ ... ـــدِ قُصَـــيٍّ إنْ تَعْـــدلوا مَولاهـــا
مِـــنهمُ الطيّـــبُ النَّبـــيُّ بـــه اللـــ ... ـــهُ إلـــى بـــابِ كُـــلِّ خَيـــرٍ هَـــداها

وفي إطارِ العَلاقةِ الزوجيةِ رسمَ لنا الشعراءُ العديدَ مِن صورِ المرأةِ ودورها في الحياة اليومية، فهي الحبيبة التي يتغنّى بها زوجها وترقُّ لها مشاعره وتلطفُ طباعُه، فها هو الفرزدق المعروف بغلظته يتحوّل مع أزواجه إلى رجلٍ يشعُّ بالعاطفةِ وبمشاعرِ الحُبِّ والغرام، ولاسيَّما مع زوجه النَوار التي تملَّكَهُ حبُّها، وأنشد بحقِّها أعذبَ الأبيات، مِنها قوله[4]:

دعتنـــي إليهـــا الشـــمسُ تحـــتَ خِمارِهـــا ... وجَعْـــدٌ تَثَنّـــى فـــي الكَثيـــبِ غـــدائرُه
كـــأنَّ نـــوارًا تَرتَعـــي رَمـــلَ عـــالِجٍ ... إلـــى رَبْـــرَبٍ تَحنـــو إلَيـــه جـــآذِرُه

وقد أكثر الشعراءُ في التعبير عن حُبِّهم لزوجاتِهم، وفي هذه الكثرة دليلٌ على تحوّل التغنّي بالزوجةِ وجمالها وأخلاقها والحنينِ إليها مِن الحالةِ الفردية إلى ظاهرة تَسِمُ شُعراءَ هذا العصر، وتعكس التّقبّل الاجتماعي لهذه الظاهرة نتيجةً للمكانة الّتي وصلت إليها المرأة ونتيجة التحرّر مِن بعض القيود الاجتماعية التي كانت تكبتُ مشاعر الشعراء وتحرمهم مِن التّعبير عنها بصدقٍ ووضوح، ومِن الشعراء الّذين هاموا عِشقًا بزوجاتِهم هدبة بن الخشرم الّذي كتبَ لزوجه وهو في سجنه يُعبِّرُ عن حُبِّه واشتياقِهِ لها فقال[5]:

(1) ديوان كثير: ص443.
(2) يُنظر: الأغاني: 122/3.
(3) ديوان العرجي: ص 51.
(4) ديوان الفرزدق: ص279.
(5) شعر هدبة بن الخشرم: ص111.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

أبـــى القَلـــبُ إلّا أمَّ عمـــرٍو ومـــا أرى ... نواهـــا وإنْ طـــالَ التَّـــذكّرُ تُسْـــعِفُ
مِـــن البِـــيضِ لا يُســـلي الهمـــومَ طلابُهـــا ... فهـــل للصـــبا إذا جـــاوزَ الهَـــمَّ مَوقِـــفُ

وقد بادلته زوجته حُبًا بِحُب، ووفاءً بوفاء، فقد كانتْ مِن أجمل نساءِ زمانِها شكلًا وأحلاهنّ قوامًا؛ ولكي تمنع نفسها مِن التفكير بالزواج بعد مقتلِ زجها هدبة جدعت أنفها وقطعت شفَتَيها، فصارت بذلك مَضربًا للأمثالِ بالوَفاء[1].

وكما نقل لنا الشعراءُ الصورةَ الإيجابية لعَلاقاتِهم الزوجية نقلوا لنا أيضًا الصورة السَّلبية لتلك العَلاقة وما يعتَريها مِن خِلافٍ يُعَكِّرُ صفوَها، أو لومٍ على التقصير بحقِّها في مسائلِ الحياة اليومية، ومِنها طلبِ الرّزق، مِن ذلك ما وَرَدَ في قولِ جَرير بحقِّ زوجه أمِّ حَزرة[2]:

تَعَـــزَّت أُمُ حَـــزرَةَ ثُـــمَّ قالَـــتْ ... رَأيـــتُ المَـــوردَينَ ذَوي لقـــاحِ
تُعَلِّـــلُ وَهْـــيَ ســـاغِبةٌ بَنيهـــا ... بأنفـــاسٍ مِـــنَ الشَّـــبمِ القـــراحِ
ســـأمتاحُ البحـــورَ فَجَنّبينـــي ... أَذاةَ اللَّـــومِ وانتَظـــري امتيـــاحي
ثِقـــي بـــاللهِ لـــيسَ لـــهُ شَـــريكٌ ... ومِـــنْ عِنـــدِ الخَليفَـــةِ بالنَّجـــاحِ

يرسمُ الشاعرُ في هذه الأبياتِ صورةَ المرأةِ اللائمَةِ التي تشكو الجوعَ والحِرمان، فليس لديها ما تُقدِّمُ لأولادِها غيرَ الماءِ الّذي يزيدُ الجوع استعارًا، فهي تلومه على هذه الحالة وتحضّه على السّعي مِن أجلِ تحصيلِ الرزق، فيعدها بتلبية طلبِها بقصدِ الخليفةِ وطلبِ نوالِه. ويبدو أنَّ هذه الصورة هي مقطعُ استعطافٍ دأبَ مُعظم شعراءِ المَدحِ على ذِكْرِهِ في مُقدِّماتِ قصائدِهم؛ ليَصفوا حالَ عيالِهم وزوجاتِهم، وإشراكِهِنَّ في طَلَبِ العطاءِ مِن الخليفةِ، فيغدوا طلبهم أقوى تأثيرًا، ومِن ثَمَّ أكثر مقبوليةً وأقربَ للاستجابة.

ومِنهُنَّ مَن تلومُ زوجَها على الكرمِ والعَطاء، وتعدُّ ذلك إتلافًا للمال، كقول الأخطَلِ مُخاطبًا زَوجتَيه[3]:

أعـــاذِلَتَيَّ اليـــومَ ويحَكُمـــا مهـــلا ... وكُفّـــا الأذى عَنّـــي ولا تُكْثِـــرا عَـــذْلا
ذَرانـــي تَجُـــدْ كَفّـــيَ بِمـــالي فـــإنَّني ... سأُصْـــبِحُ لا أســـتَطيعُ جُـــودًا ولا بُخْـــلا

وقد وردت هذه الصورة عند الكثير مِن شُعراءِ هذا العصر[4]، وهي صورة قديمة في الشعر العربي، كرَّرها الشعراءُ الجاهليون مِن قَبلُ كثيرًا، ولعلَّ هذه المواقف مُجَرّدُ تقليدٍ شِعري التزَمَه الشُعراء لتصويرِ كرمِهُم وكثرَةِ عطائِهم على الرَّغم مِن عَذلِ الزَّوجَةِ وتضييقِها عليهم، لأنَّ العطاء يغدو أكثرَ قيمةً إذا واجَهَ مُعارضةً ولم يَحفَلْ بها، أي ليس بالضرورةِ أن تكون هذه المواقفُ حقيقيةً، تُبديها الزّوجات دائمًا لمنعِ أزواجهِنَّ مِنَ العَطاء، وإنْ كانت الصورة العامّة للمرأة في مُختلَفِ العصور تُصَدِّق هذه الصورة، وقد علَّلَ الدكتور أحمد الحوفي هذه الظاهرة بأنَّ النساء "أحْفَلَ بالثروَةِ وتنميَتِها، ولأنَّهُنَّ لا يَحْفَلْنَ بأحاديثِ الكرَم، وهُنَّ أحْسَنُ تَدبيرًا للمالِ مِن الرِّجال، وهُنَّ مَنْ يُباشِرنَ أعمالَ البيوتِ وحاجاتِها، فهُنَّ أمْيَلُ إلى الجانبِ العَمَلي، فلا يَحْفَلْنَ بِثناءٍ يَنْتَقِصُ المالَ ويُسَبِّبُ الخَصاصة، بينما قد يغفَلُ الرَّجلُ عَن غَدِهِ وهو في نَشْوَةِ الثَّناءِ وأريَحيَّةِ العَطاء". وهذا القولُ –على ما فيه مِن تَعميم- مَقبولٌ في المُجمَل، ونُضيفُ عليه، بأنَّ سَبب عدم احتفال المرأةِ بالكرم والعطاء ليس لِخِلَّةٍ في طبيعَتِها الأنثوية، بل لابتعادِها عن المُجتمع الذكوري، وعدم حاجتها إلى رَسمِ صورَتها في المُجتمع كما يسعى بعضُ الرِّجال، لذلك هي لا ترى في العَطاءِ –ولاسيّما المُبالغ به- خصلةً حَسنة، بل هو مضيعَةٌ للمالِ ليس أكثر، وهذا الكلامُ ليس مُطلقًا بالتأكيد، فقد سجَّل لنا التاريخُ أسماءَ الكثيرِ مِن النساءِ المشهوراتِ بالكرمِ.

إنَّ هذه الحوارات تَكشفُ عن شخصية المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية يومئذ، إذ لم تعدْ امرأة سلبية يتساوى وجودها وعدمه، بل هي صاحبةُ رأيٍ يُسمَع ويُؤخَذ به أو يُحاوَر ويُترَك بعد الإقناع. وتتَّضح شخصية المرأة بشكلٍ جَليّ في مُشاركتها بأمورها الذاتية ولاسيما شأنُ زواجِها، إذ أصبحت تُستشارُ بهذا الشأن وصار لها حَقُّ القَبولِ أو الرَّفض، وأصبحت تشترط الشروطَ الّتي تراها هي فيستجيبُ أهلُها لشروطِها ولا يجبرونَها على غيرِه، وقد سَجَّلَ بعضُ الشعراء تجاربهم مع نساءٍ اشترطنَ عليهم شروطًا تعجيزية حمَلَتهم على تركهن، فصوّروا مُعاناتِهم جَرّاء هذا الموقف، ومِن هؤلاء الشعراء محمد بن بشير الخارجي، وهو مِن الحِجاز، الذي زار

(1) تُنظَر: مُقدِّمَة شعر هدبة بن الخشرم.
(2) ديوان جرير: ص88.
(3) ديوان الأخطَل: ص427.
(3) يُنظَر على سبيل المثال: شعر النعمان بن بشير: ص138. وشعر هدبة: ص95. وشعر العجير السَّلولي: ص222.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

البصرة فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر، فاشترطت عليه أنْ يُقيمَ في البصرة، وأنْ تكونَ العصمة بيدها، فرفضَ طلَبَها وقال[1]:

أرَقَ الحَـــزينُ وعـــادَهُ سَـــهَدُهْ ... لِطَـــوارقِ الهَـــمِّ الّتـــي تَـــرِدُهْ
وذَكَـــرتُ مَـــن لاقَـــتْ لـــه كَبِـــدي ... فَـــأَبى، فَلَـــيسَ تَلـــينُ لـــي كَبِـــدُهْ
وأَبـــى فَلَـــيسَ بنـــازلٍ بَلَـــدي ... أبـــدًا، ولـــيسَ بِمُصْـــلِحي بَلَـــدُهْ
فَصَـــدَعْتُ حـــينَ أَبـــى- مَوَدَّتَـــه ... صَـــدْعَ الزُّجاجَـــةِ دائِـــمٌ أَبَـــدُه

فهو يُعلِنُ رفضه لطلبها، واستعداده لإنهاء المودّة تجاهها.

إنَّ الصورة التي رسَمَها الشُعراءُ الأُمَويّون للمرأةِ في عصرِهم تكاد تكون جديدة غير مألوفة في الحياة الاجتماعية في العَصرَين الجاهلي وعصر صدر الإسلام، إذ قدّموا صورًا جديدة تكشفُ عن مكانةِ المرأة في عصرهم، أو توَسَّعوا في استعمال بعض الصور القديمة، الأمرُ الّذي يَشي بتحوّل هذه الصور مِن حالةٍ فرديةٍ إلى ظاهرةٍ اجتماعية تَسِمُ العصرَ بأكمَلِه، ومِن بينها صورة المرأة الرمز، فهي رَمزٌ لشرفِ القبيلةِ ورَمزٌ لقوَّتِها ومَنَعَتِها؛ لذلك أصبحت مِحورًا للكثيرِ مِن قصائدِ الفخرِ أو الهِجاء، فشُعراءُ هذا العصر أكثَروا مِنَ الحديثِ عن نساءِ قبائلِهم أو قبائلِ مَحبوباتِهم، فيصفونَ نسَبَهُنَّ الرَّفيع وجَمالَهُنَّ الباهر والنّعيم الظاهر بما يُظهِرُ مكانتهن المَرموقة، فهنَّ مِن سراةِ القومِ وأشرافهم وليست مغموراتٍ أو مُبتَذَلات، فهذا الفرزدق يفخرُ بقومِه عامّة ثُمَّ يفخرُ بنسائهم على وجه الخصوص فيقول[2]:

وبِـــيضٍ تَرَقَّـــى مِـــن بَنـــاتِ مجاشِـــعٍ ... بِهِـــنَّ إِلـــى المَجـــدِ التَّليـــدِ مَفـــاخِرُهْ
بنـــاتُ أَبـــي حُـــوْرٍ كـــأَنَّ حمولَهـــا ... عليهـــا مِـــنَ الـــوَحشِ الهِجـــانِ جـــآذِرُهْ
كَســـاهُنَّ مَحـــضَ اللَّـــونِ سُـــفيانَ واصـــطَفى ... لَهُـــنَّ عَتيـــقَ البِـــزِّ إذ جـــاءَ تـــاجِرُهْ

فهو يفخرُ بالنَّسَبِ الرَّفيعِ لنساءِ قبيلتِه الّذي أورثَهنَّ مجدًا تليدًا يَفخَرنَ به، كما فخَرَ بجمالِهِنَّ وترفهنَّ وما يلبَسنَه مِن ثيابٍ فاخرَةٍ تدلُّ على التَّرَفِ والغِنى والحياةِ الرَّغيدة.

وتكرَّرَ المعنى ذاته عندَ عبدِ اللهِ بنِ قيسِ الرّقَيّات حين مدحَ نساءَ قريش فقال[3]:

وحِســـانٌ مِثـــلُ الـــدُّمَى عَبْشَـــميا ... تٌ علَـــيهُنَّ بَهجَـــةٌ وحَيـــاءُ
لا يَـــبغِيْنَ العِيـــابَ فـــي مَوسِـــمِ النّـــا ... سِ إذا طـــافَ بالعِيـــابِ النِّســـاءُ
ظـــاهِراتُ الجَمـــالِ والسَّـــرْوِ يَنْظُـــرْ ... نَ كمـــا يَنظُـــرُ الأراكَ الظِّبـــاءُ

فهُنَّ جميلاتٌ وعفيفاتٌ وظاهراتُ المروءةِ والشرف، ولا يحتجنَ إلى العَملِ أوقاتِ الحَجِّ كما تفعل النِّساءُ الوضيعات؛ لانتمائِهِنَّ إلى أُسَرٍ غنيةٍ تكفيهِنَّ أمرَهُنَّ. وفي قصيدَةٍ أخرى يَمدَحُ ابنُ قيس الرُّقَيّات إحدى القبائلِ الثَّريَّةِ المُمَنَّعَةِ، ويشيرُ إلى جمالِ نسائِها وحَمْلَهنَّ بالهَوادِجِ المُزَيَّنةِ، فقال[4]:

إنَّ فـــي الهَـــوْدَجِ المُحَفَّـــفِ بالديـــ ... ـــباجِ رِيمًـــا مـــع الجـــواري رَبيبـــا

وقد سلكَ الأخطَلُ هذا المَسلَك حين مَدَحَ النساء الثَّريات المُنَعَّمات، فقال[5]:

وقَـــد تكـــونُ بِهـــا هِيـــفٌ مُنَعَّمَـــةٌ ... لا يَلـــتَفِعْنَ علـــى ســـوءٍ ولا سَـــقَمِ
لا يَصْـــطَلِينَ دُخـــانَ النّـــارِ شـــاتِيَةً ... إلّا بِعـــودٍ يَلَنْجـــوجٍ علـــى فَحَـــمِ

وبنظري، إنَّ هذه الصورة المثالية للمرأةِ هي مَدحٌ للرِّجالِ عِبرَ النِّساء؛ فما هذا العِزُّ والمَجدُ إلّا لانتمائِهنَّ إلى رِجالِ سراةِ أشراف، وما هذه المَنَعَةُ إلّا بوجودِ الأبطالِ مِن رجالِ قبيلَتِها، وما هذا التَّرَفُ والدَّلال إلّا لأنَّ رجالَ القَبيلةِ مِن الأثرياءِ، ومَدحُ المَرأةِ بهذه الصورة يَختَصِرُ هذه المعاني جميعُها، فهي كنايةٌ تصطَحِبُ مَعها الدَّليل على صِحَّةِ الادِّعاء، ويَستطيعُ قارئُ الأبياتِ اكتشافُ المَعنى الّذي يَختَبئُ وراءَها.

وعلى النقيضِ مِمّا تقدَّم نجد صورَةَ المرأةَ في شعر الهِجاء موصوفةً بأبشعِ الصفاتِ الخَلْقيَّةِ والأخلاقيَّة، ولأنَّ المرأة –كما أسلَفنا- رمزٌ لشرفِ القبيلةِ وعِزَّتِها أصبح هجاؤها والسُّخريةُ مِنها والحَطُّ مِن شأنِها بابًا لهجاء

(1) شعر محمد بن بشير: ص52.
(2) ديوان الفرزدق: ص25.
(3) ديوان عبد اللهِ بن قيسِ الرّقَيّات: ص88.
(4) المصدر نفسه: ص107.
(5) ديوان الأخطل: ص221.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

القبيلَةِ المُعاديَةِ بأَسْرِها، وقد برزَت هذه الصورة بشكلٍ جَليٍّ في شعر النقائض، إذ يُعَيِّرُ كُلُّ شاعرٍ خصمَه بنساءِ قَبيلَتِه، كما فعلَ جرير في هجاء تَغلِب، وهي قبيلةُ الأخطل، فقال[1]:

نِســـوانُ تَغْلِـــبَ لا حِلْـــمٌ ولا حَسَـــبٌ ولا جَمـــالٌ ولا ديـــنٌ ولا فَخَـــرُ

وفي قصيدَةٍ أخرى يُعَيِّرُ التغلبيين بِقذارَةِ نسائهم وفقرهِنَّ، فقال[2]:

قَـــبَحَ الإلـــهُ نُسَـــيَّةَ مِـــن تَغْلِـــبٍ يَجْعَلْـــنَ مِـــن قِطَـــعِ العبـــاءِ خُـــدورا
لَـــمْ يَجْـــرِ مُـــذْ خُلِقَـــتْ علـــى أنيابِهـــا مـــاءُ السِّـــواكِ ولَـــمْ تَمَـــسَّ طهـــورا

وفي المسلك نفسه هجا الفرزدق نساءَ قبيلةَ "كلب"؛ للحَطِّ مِن شأنِ القبيلَة كُلِّها، فقال[3]:

تَـــرى للكُلَيبيّـــاتِ وَسْـــطَ بيـــوتِهِم وجـــوهَ إمـــاءٍ لَـــمْ تَصُـــنْها البَراقِـــعُ

فنساؤهُم غير مَصونَةٍ كالإماءِ، وهذا دليلٌ على ضعفِ رجالِ القبيلةِ وفقرهم انحطاطِهم. ومِثْلُ هذا الهِجاء هو أسوَءُ ما في هذه الظاهرة، أي حينَ أدخلوا المرأةَ في صراعاتِهم القَبَلية، وجعلوها مِعيارًا لبطولاتهم الزائفة، فراحوا يتفاخَرون بما هو عار، حين يَفخَرون بِسَبْيِ نساء القبيلةِ المُعادية، أو يَستدلّون على قوَّتِهم ومَنَعَتِهم بقُدرتِهم على حماية نساء قبيلتهم مِن مصير السبي، وهذه المُفاخرات ترسمُ لنا صورةً مؤسِفةً للمُستوى الأخلاقي والاجتماعي الذي وصلت إليه القبائِلُ يَومئذ، حين أعادوا العَصَبيَّةَ القَبَليَّةَ الّتي أماتَها الإسلام، وراح شُعراؤها يَتَغَنّون بماضي أجدادِهم وبأعمالِ السَّبي التي قاموا بها، فها هو الأخطَلُ يفخَرُ بسبي نساء الأعداء بسببِ ضَعفِ رجالِ قبائلِهِن وهوانِهم، فقال[4]:

أصَـــبْنا نِسْـــوَةً مِـــنكُم جِهـــارًا بِـــلا مَهْـــرٍ يُعَـــدُّ ولا ســـياق

ويؤَكِّدُ في قصيدَةٍ أخرى قدرةَ رجالِ قَبيلَتِه على حماية نسائهم فيقول[5]:

وقَـــدْ عَلِـــمَ النِّســـاءُ إذا التَقَينـــا وهُـــنَّ وراءَنـــا أنّـــا نَغـــارُ

فنساؤهم مُطمئنات ولا يخشينَ مصيرَ السَّبي لِعلمِهِنَّ بغيرَةِ رجالِهِنَّ وبَسالَتِهم، وهذا الادّعاءُ يُكَذِّبُهُ جرير، ويُصَوِّرُ رجالَ تَغلبَ مَهزومين تاركينَ نساءَهم يواجِهنَّ مَصيرَ السَّبي بلا حامٍ و يُدافِعُ عَنهُنَّ ولا خليلٍ يَغار، فقال[6]:

كَـــذِبَ الأخَيطِـــلُ مـــا لِنِســـوَةِ تَغْلِـــبٍ حـــامي الـــذِّمارِ ومـــا يَغـــارُ خَليـــلُ
تـــرَكَ الفـــوارِسُ مِـــن ســـليمٍ نِسْـــوَةً عُجُـــلًا لَهُـــنَّ علـــى الرّحـــوبِ عَويـــلُ

إذن، نستطيعُ القَول: إنَّ هذا النَوع مِن الهجاء يُوَظِّفُه الشاعر للفَخرِ بشجاعَةِ قومِهِ أو ممدوحيه وقُدرَتِهم على حمايةِ نسائهم، بخِلاف القبائل الأخرى المُعادية التي تترك نسائها يواجهنَ مَصير السَّبي لضعف رجالِهِنَّ عن حمايَتِهِنَّ وصون كرامَتِهِنَّ مِن ذُلِّ السَّبي.

وبالانتقال مِن المرأةِ الرَّمز إلى المرأةِ الموضوع لابُدَّ مِن الحديثِ عن أكثَرِ أنواعِ الشعرِ حديثًا عن المرأةِ ورسمًا لصورَتِها، وأعني به شعرَ الغزل؛ إذ لم يكتفِ هذا الشعرُ بالحديثِ عن الحُبِّ وتصوير حرارةِ العاطفةِ وألَمِ الفِراقِ عن الحبيبَةِ ولواعجِ الأشواقِ التي تعتمِلُ في نفوسِ المُحبّين، ولا بالتصوير الجسدي لمفاتنِ المرأةِ وإبرازِ جمالِها، بل حَمَلَ بين طَيّاتِه الكثيرَ مِن المعاني والقيَم الّتي يُمكِنُ أنْ نَستَجليَ عن طَريقِها صورةَ المرأةِ في ذلك العصر عند الرَّجلِ أو عند المُجتمَعِ بشكلٍ عام.

وتجبُ الإشارَةُ أولًا إلى الفَرقِ بين شُعراءِ الحاضرَةِ وشُعراء البادية في نظرَتِهم للمرأةِ وتصويرهم لها بما يعكسُ نظرةَ المُجتمعِ لها في البيئَتَين، بل اختلاف المرأةِ نفسِها في هاتَين البيئَتَين مِن حيث أخلاقِها وجُرْأتِها وحُريّتِها والنشاطات الاجتماعيةِ والأدبيةِ التي اشتركت بها استثمارًا لتلك الحُريّة.

فحين نتحدَّثُ عن المرأةِ البدويةِ فإنّنا نتحدَّثُ –بالمُجمَل- عن شعر الغزل العُذري الّذي يكتفي بتصوير المشاعِرِ ووصفِ جمالِ الحَبيبة وما يتركُه ذلك الجمال مِن أثَرٍ في نفوسِ العاشقين، ولاسيَّما أنَّهم لم ينعموا بهذا

(1) ديوان جرير: ص159.
(2) المصدر نفسه: نقائض جرير والأخطَل: ص127.
(3) ديوان الفرزدق: ص336.
(4) ديوان الأخطل: ص79.
(5) المصدر نفسه: ص273.
(6) ديوان جرير: ص97.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

الجمال بسَبَبِ البيئَةِ الاجتماعيةِ الضاغطة الّتي تمنعهم مِن اللّقاءِ بحبيباتِهم أو الزواج مِنهُنَّ بعد انكشافِ أمر عَلاقتِهم؛ لذلك كثرتْ الشكوى مِن فراقِ الحبيبَةِ، هذا الفِراقُ الذي ما كان إلّا بسببِ استجابَةِ الحبيبَةِ للوشاة أو خضوعِها لقيودِ المُجتمَع، وهي بذلك تستَحِقُّ العتابَ واللّوم مِن قِبَلِ الشاعِرِ العاشِق، مِن ذلك قول كثير عزَّة[1]:

وما أنصَفَت، أمَّا النِّساءُ فَبَغْضَتْ ... إلَينا، وأمَّا بالنّوالِ فَضَنَّتِ
فقد حَلَفَتْ جهدًا بِما نَحَرَتْ لَهُ ... قُريشٌ غَداةَ المَأزَمينَ وصَلَّتِ
وكانَتْ لِقَطْعِ الحبلِ بَيني وبَينها ... كنَاذِرَةٍ نَذرًا وَفَتْ فَأَحَلَّتِ

فهو يلومُ صاحبتَه على استجابَتها لحديثِ النساء، ويتَّهمها بالرغبةِ في تركِهِ وكأنَّها نذرَت نذرًا لانتهاءِ العَلاقَةِ بينهما، فكان حديثُ النساءِ معها سببًا في تحقُّقِ النَّذرِ، فتركته بالرَّغمِ مِن حلفِها له بالوفاءِ له، وفي فعلِها هذا ظلمٌ له وبُعدٌ عن الإنصاف.

ولكنْ جميل يرسمُ لنا صورةً مُغايرَةً لحبيبَتِهِ بُثَينة، فهي أكثَرُ جُرأةً مِن نَظيرَتِها عَزَّة، وأَشَدُّ صَلابَةً مِنها في مواجهَةِ المُجتَمَعِ وعاداتِه، يقولُ جميل بُثَينَة[2]:

فَما مُزنَةٌ بينَ السَّماكينِ أومَضَت ... مِنَ النّورِ ثَمَّ استَعرَضَتْها جنوبها
بأحسَنِ مِنها يومَ قالَتْ وعِندَنا ... مِنَ النّاسِ أوباشٌ يُخافُ شَغوبُها
تعاييتَ فاسْتَغنَيتَ عَنّا بِغَيرِنا ... إلى يَومِ يَلقى كُلَّ نَفسٍ حَبيبُها
وَدِدْتُ ولا تُغني الوِدادَةُ أنَّها ... نَصيبي مِنَ الدُّنيا وأنّي نَصيبُها

تكشفُ هذه الأبياتُ عن حجمِ الضغطِ الاجتماعي على العاشقين، وعن نظرةِ المُجتمَعِ السَّلبيةِ لِعَلاقَةِ الحُب بينَ الرَّجُلِ والمَرأةِ وتدخّلهم السافر بشأنِ هذه العَلاقة حتى إذا كانَ أمرُهُنَّ لا يَعنيهم. هذا مِن جهة، ومِن جهةٍ أُخرى تكشفُ الأبياتُ عن تَصَدّي بُثَينة للمُجتَمَع ومُواجهته بنديّة؛ فهي تُحاورُ حبيبَها بشأنِ أهلِها وتبحثُ معه مُستقبَلَ العَلاقَةِ بينهما على الرّغمِ مِن وجودِ أشخاصٍ يُتَوَقَّعُ سعيهم بالوشايةِ بها لأهلها، إلّا أنَّنا لا نستَطيعُ الجزمَ بصدقِ هذه الصورة، فلعَلَّها لا تعدو كونَها أُمنيات يَتَمَنّاها الشاعر بأنْ تُشاركُه حبيبَتَه مواجهةَ المُجتمَع؛ ليَحظى بالوِصالِ أو الزَّواج، ولعلَّ البَيتِ الأخير يَشي بصحّةِ هذا الاحتمال؛ فهو بعد كُلِّ ذلك يتمنّى لو أنَّها كانَت مِن نَصيبِه، ولكنَّ الأمنيات وحدها لم تنفعه، وبذلك انتصرَت إرادَةُ المُجتمَعِ على إرادَة العاشقَين.

ومِن صوَرِ حصارِ المُجتَمَعِ الّذي يُقَيّدُ الحُبَّ ويَمنَعُ لقاءَ الحَبيبَين وقَد يَحُولُ بَينَهما للأبَد، صورَةُ الرَّقيب الّتي طالَما رَدَّدَها الشعراءُ في قَصائدِهم، وقد أسرفَ الشعراءُ العُذريّون في توظيفِ هذه الثيمة للشكوى مِن المُجتمَع والعتابِ على استسلامِ الحَبيبَةِ وسماعِها لِعَذلِهم ووشاياتِهم، يقولُ جميل[3]:

وما ذا عَسى الواشونَ أنْ يَتَقَوَّلوا ... سِوى أنْ يَقولوا إنَّني لَكِ وامِقُ
نَعَم، صَدَقَ الواشونَ أنتِ حَبيبَةٌ ... إلَيَّ وإنْ لَم تَصْفُ مِنكِ الخَلائِقُ

ويقولُ في قصيدَةٍ أُخرى[4]:

وأطَعْتِ فِيَّ عَواذِلًا فَهَجَرْتِني ... وعَصَيتُ فيكِ وقد جَهِدْنَ عَواذلي

وتكثر الشكوى ذاتها في شعر مجنون ليلى، ومِن شواهدها قوله[5]:

ولَو أنَّ واشٍ باليَمامَةِ دارُهُ ... وداري بأعْلى حَضرَمَوتَ اهتدى ليا
وما ذا لَهُمْ لا أَحْسَنَ اللهُ حالَهُم ... مِنَ الحَظِّ تَصريمِ لَيلى حِباليا

فكأنَّ هذا الواشي مُوَكّلٌ بمُراقَبَتِه وتَتَبُّعِه، وأنَّه قادِرٌ على رصدِهِ حتى لو كان بعيدًا عنه، ويتّهم الوشاةَ بأنَّهُم سببُ هجرِ ليلى إيّاه. وشواهِدُ الرَّقيب والواشي والعذّال كثيرةٌ جدًّا عند شعراءِ الغزلِ العذري في هذا العصر إلى درجةِ أنَّه يستحيلُ ذكرُها جميعًا في هذه الدراسة الموجزة، ولكنْ ما ذكرناه هو عَيّنةٌ دالّةٌ تُؤَشِّرُ هذه الظاهرة

(1) ديوان كثير: ص96.
(2) ديوان جميل: ص11.
(3) المصدر نفسه: ص143.
(4) ديوان جميل: ص181.
(5) ديوان مجنون ليلى: ص294.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

وتُبيّنُ مَردودَها على عَلاقَةِ الحُبِّ في البيئَةِ البَدَوية، وقد رسمَتْ لنا هذه الظاهرة صورَةَ المَرأةِ المُكَبَّلَةِ بقيودِ المُجتمَع.

وقد لفتت ظاهرة وجود الرقيب والوشاة والعاذلين أنظارَ جميع دارسي شعرِ الغزل العربي عِبرَ العصور، ولاسيما في العصر الأموي، ومِن هؤلاء الدارسين الدكتور عبد القادر القط، الذي تتبَّع هذه الظاهرة في الشعر مُنذُ العصر الجاهلي، وحين وصلَ إلى العصر الأمَوي قال: "وسَنرى أنَّ الواشي والرَّقيب والعَذول شخصيّات لا يكادُ يغيبُ وجهُها في شعرِ العُذريين، وقد أفاضَ عروةُ في الحَديثِ عن الوشاةِ وصَوَّرَهُم وكأنَّهم شرطةٌ مُوَكَّلونَ بِتَعَقُّبِ المُحبّين"[1]. ثُمَّ أضاف: "ومِن هنا كان فشلُ الشعراءِ في حُبِّهم بِرَغمِ تَقواهُم، وبِرَغمِ كُلِّ الظروف المُهيَّئَةِ للنجاح. وليس غريبًا إذن أنْ تُطالِعُنا –كما قُلت- وجوهُ الرُّقَباءِ والواشينَ المُوَكَّلينَ بِتَعَقُّبِ هؤلاءِ المُحبّين في كثيرٍ مِن قصائِدِ الشعرِ العُذري ومَقطوعاتِه بعدَ أنْ كُنّا لا نُصادِفُها إلّا لمامًا في الشعرِ الجاهلي"[2].
وبلا شك، أنَّ هذه الكثرة مُؤَشِّرٌ على تغيُّرٍ كبيرٍ طرأ على بنية المُجتمع البَدَوي الأمَوي، ولاسيّما فيما يخصُّ علاقَةَ الحُبِّ، وصورَةَ المرأةِ تحديدًا في هذه العَلاقَة.

أمّا البيئةُ الحَضَريّة فهيَ البيئَةُ الأكثَرُ تَأثُّرًا بمظاهرِ الحَضارَةِ الّتي استَجَدَّت بفعلِ الفتوحاتِ الإسلاميَّةِ وما أحدَثَته مِن تَرَفٍ وثَراء نتيجةَ الأموالِ الطائلَةِ التي تحَصَّلَ عليها العَرَبُ مِن فتوحاتِهم تِلك، والأهم مِن ذلك أنَّ هذه الفتوحات جاءت بعناصرَ بشريّة مِن حضاراتٍ مُختلفة، ولاسيما الحَضارَتان الفارسيّة والرومانيّة، وقد استوطنَتْ هذه العناصر البشرية المُدن والحَواضر العربية، واندَمَجَتْ مع العنصر العربي، وأثَّرَتْ تَأثيرًا كبيرًا في بِنيَتِه المُجتَمَعيّة، ولاسيما العنصر الأنثَوي مِنه، فقد أنتجَتْ هذه الحالة مجموعةً مِن الجواري والمُغَنّيات اللائي نِلنَ مكانةً وشُهرةً في المُجتمَع، في قِبال المرأة العربيّة الحُرّة، وبالخصوص طبقة النساءِ الثَّريّات والقَريباتِ مِن السلطة.

لقد كانتْ المُغَنّيات والجواري على حَظٍّ كبيرٍ مِن الجمال والظرف؛ لذلك كَسَبْنَ قلوبَ الرِّجال بمُختَلَفِ طَبقاتِهم وتَفاوتِ مُستَوَياتِهم، ونلنَ الحَظوةَ عند بعضِ رِجالِ السُّلطَةِ وتمَكَّنَّ مِن قلوبِهم إلى درجَةِ التَّحَكُّمِ بهم، مِن ذلك ما يُروى مِن أخبارِ المُغَنية "حبابة" جاريةِ يزيد بن عبد الملك، وهي "مولدة مدنية، كانتْ صبيحةَ الوَجه مَليحَةَ النّادِرة، خفيفَةَ الرُّوحِ شَجيَّةَ الغِناء، وكانَ يَزيدُ مُغرَمًا بالنّساءِ شديدَ الكَلَفِ بِهِنَّ، فهامَ بها وانقطَعَ إليها لَيلَهُ ونَهارَه، تاركًا بَينَ أيديها أزِمَّةَ دينِها ودُنياه، فكانَت تَعزِلُ مَن تَشاءُ وتُوَلّي مَن تَشاء، وتَحولُ بَينَه وبَينَ الصَّومِ والصَّلاةِ، وكان يقولُ فيها:

أبْلِـــغْ حبابَـــةَ أســـقى رَبْعَهـــا المَطَـــرُ ... مـــا للفـــؤادِ ســـوى ذِكـــراكِمُ وَطَـــرُ
إنْ ســـارَ صَـــحْبيَ لـــمْ أملِـــكْ تَـــذَكُّرَهُمْ ... أو عَرَّســـوا فَهمـــومُ الـــنَّفسِ والسَّـــهَرُ" [3]

ومِن شواهدِ تَحكُّمِ هذه الجارية بكُرسي الخِلافَةِ الخبَرُ الّذي نقلَهُ لنا صاحِبُ كتابِ تَزيينِ الأسواق، حينَ أوردَ قُصَّتَها مع "سعدة" زوجُ يزيدُ بن عبد الملك، فَلَمّا آلَتِ الخِلافَةُ إليه سألَتهُ سعدة: هل بَقِيَتْ لكَ أمنيَةٌ في الدُّنيا؟ فأجاب: حبابة. فأرسَلَت في طَلَبِها ولَمّا جاءوا بها إلى سعدة ألبَسَتها وطَيَّبَتها وصَيَّغَتها ثُمَّ أجلَسَتها خَلْفَ سِتارٍ وسَألَتْ زَوجَها: يا أميرَ المؤمِنين، هل بقيَتْ لكَ أُمنيَةٌ في الدُّنيا؟ فأجاب: لقد أعلَمتُكِ. فرفَعَتْ عَنها السّترَ وقالَتْ لهُ: هذه حبابة، وقامَتْ عَنهُما وتَرَكَتها عِندَه. فنالَت سعدة عندَهُ الحَظوَةَ وأكرَمَها. وكانَتْ حبابة قد عاهَدَتْ سعدة أنْ تقضي جميعَ حاجاتِها عندَ الخَليفَةِ، وأنْ يَجعَلَ الخِلافَةَ لِوَلَدِها، فَوَفَتْ بوَعْدِها[4].

إنَّ هذه المَكانة الرفيعة جدًا الّتي احتلَّتها المُغَنياتُ والجواري عِندَ الخُلَفاءِ الأمَويين ورجالِ سُلطَتِهم لدَرَجَةِ أنْ يَتَوَسَطْنَ عِندَهم لزَوجاتِهم العَرَبيّات، بل لدرَجَةِ أنَّها تُنَصِّبُ الخليفةَ الّذي تشاء، لَهوَ مُؤَشِّرٌ على انحطاطِ هؤلاءِ الحُكّام وغرَقِهم باللّهوِ والشهواتِ والبَحثِ عنِ المَلَذّات.

ولكن على الرَّغمِ مِن المكانَةِ الّتي احتلَّتها طبقةُ الجواري والمُغَنيات عِندَ رجالِ السُّلطةِ والمُتَنَفذين، ظلّت مكانة الجارية في المُجتمَعِ الأمَوي أقلُّ بكثيرٍ مِن مكانةِ المرأةِ العربيةِ الحُرّة، وهذا قد يُؤَشِّرُ حالَةً عنصريَّةً ترفعُ شأنَ العنصر العرَبي وتحطُّ مِن شأنِ الآخَر، فنَظَروا بعين المَهانَةِ إلى الجَواري، واحتقَروا أبناءَهُنَّ وقَلّلوا مِن قيمَتِهم، فرَفَضوا أنْ يُزَوّجوهم بناتِهم حتى لو كان ابنُ الجاريةِ ذاكَ ابنًا للخليفة، كما فعلَ عقيل بن علفة "الّذي كان

(1) في الشعر الإسلامي والأمَوي: ص77.
(2) المصدر نفسه: ص84.
(3) الدرّ المَنثور في طبقاتِ رَبّاتِ الخدور: ص161.
(4) يُنظَر: تزيين الأسواق: 231/1.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

غيورًا جدًا، فقد رفضَ مُصاهَرَةَ عبدِ الملكِ بنِ مَروان عندما خطَبَ ابنة عقيلٍ لبعضِ ولده، وقال: جَنّبني هجناءَ ولدك"[1]. ورُبَّما وصلَ الأمرُ بازدِراءِ أبناء الجواري إلى حدِّ مَنعِ ابنِ الخَليفَةِ مِن وراثَةِ الخِلافَةِ عن أبيه فقط لأنَّه ابنُ جارية، حتى إذا كان مَعروفًا بالحكمة والتَّعَقُّل، كما حَصَلَ مع مسلمة بن عبد الملك، الّذي حُرِمَ الخِلافَةَ لأنَّه لأُمٍّ وَلَد[2].

وقد ظلَّت هذه النَّظرَةُ السَّلبيّة عندَ أهلِ المَدينَةِ تجاه أُمَّهاتِ الأولادِ وأبنائِهِنَّ إلى أنْ نشأَ فيهم عليُ بنُ الحُسَين (ع)، وسالم بن عبد الله، والقاسمُ بنُ مُحمَّد، وقد كانَتْ أُمَّهاتُهم بناتِ آخِرِ ملوكِ السّاسانيين[3]. ويتّضح مِن قَصَصِ الجواري وأبنائهن في المُجتمَع الأموي، أنَّه مُجتمَعٌ مُضطَرِبٌ ومُتناقِض، وكانتْ المرأةُ فيه مِقياسًا لتأشير هذه الحالة.

إنَّ التمازج الحَضاري والترف الاقتصادي وغيرَهما مِن العوامل أسهمَت في خَلخَلة المُجتمع العربي في العصر الأموي، وغيَّرت نظرته تجاه الكثير مِن القيَم الاجتماعيةِ الموروثة الّتي تخصُّ المرأة، بل أعاد أبناء المُجتمَع الأُموي النّظر في بعضِ التقاليدِ الإسلاميةِ الخاصّةِ بالمَرأة؛ فلَم تَعُد المرأةُ حبيسةَ الدّار، ولم تقتصر اهتماماتها على الشؤون المنزلية فحَسْب، بل سايرَت المرأةُ كُلَّ التغييرات الحضارية والاجتماعية، وراحَتْ تَعبُّ مِن الحُريّةِ النسبية الّتي أُتيحَتْ لها، فاستثمرَتها في تحقيق مكانَتِها في المُجتمَع، وقد تقبَّلَ المُجتمَعُ هذه المكانةَ الجديدةَ ولم ينظُرْ إليها بعَينِ الريبة، فدَفَعَها ذلك إلى الاشتراكِ في النشاطات الاجتماعية، والندوات الأدبية، ولم تقتصر هذه الأعمالُ والنّشاطاتُ على طبقةٍ اجتماعيةٍ دون أُخرى، بل اشتركتْ بها حتى نِساءُ الطبقةِ العُليا مِن بناتِ الأُسَرِ الشريفةِ في الحِجازِ والعِراقِ وكذلك نساءُ البلاط الأُموي في دِمَشق، واشتهرَتْ مِن هذه الطبقة: سكينة بنتُ الحسَين (ع)، وعائشةُ بنتُ طلحة، وهندُ بنتُ النّعمان، وهندُ بنتُ أسماء، وغيرُهُنَّ كثير.

لقد اشتركت المرأةُ في النشاطات الأدبية، وحاورَتْ الشعراءَ وتقرَّبَتْ مِنهم بوصفِها مُستَمعة أو ناقدة أو راوية، وعلى رأسِ هؤلاءِ النسوة السيدة سكينة بنت الحُسَين (ع)، فقد "تهيّأ لها أنْ تَختارَ أسلوبَها في الحياة، مُتَحَرِّرَةً مِن النفاق الاجتماعي، دون أنْ يَنالَ ذلك مِن مَهابَتِها أو يلقي عليها ظِلًّا مِن التهاونِ فيما يَجِبُ لِمِثلِها مِن تَصَوّنٍ وعِزّة. لقد تمرَّدَتْ على المُجتمَعِ وسَخِرَتْ بأوضاعِهِ وأكاذيبِه، ورُبَّما كان مِن مظاهرِ هذا التَّمَرّد ظهورَها في المُجتمَعِ الأدبي على نَحوٍ لمْ تَألَفْهُ أختُها وبناتُ عَمِّها، ولكنَّها ظَلَّت مع هذا الظهور بنتُ النبي صلّى الله عليه وسلَّم، ولَمْ تَنسَ لحظةً ولا نَسيَ المُجتمَعُ أنَّها سكينةُ بنتُ الحُسَين"[4]. وقد أوردَ صاحبُ الأغاني الكثيرَ مِن أخبارِها، مِنها أنَّها كانتْ تُجالِسُ السادةَ مِن قريش، وتُصغي للمُغَنين، وتستَمِعُ للشعراء الّذين يجتمعونَ إليها، فسيطرَتْ بذلك على المَشهَدِ الأدَبي[5]. وقد تناقلَتْ كُتُبُ النقد والأمالي والأخبار الكثيرَ مِن أحكامها النَّقدية الّتي تدلُّ على ثقافَةٍ عاليةٍ وذوقٍ فني مُتَميّز وحِسٍّ شِعريٍّ مُرهَف، مِن ذلك ما نقله الأصفهاني في كتابه الأغاني مِن نقدها لبعض الشّعراء الأُمَويين الكبار، فعندما سمعَتْ قولَ الفرزدق:

هُمـــا دَلّتـــاني مِـــن ثَمـــانينَ قامَـــةٍ ... كمـــا انْحَـــطَّ بـــازٍ أقْـــتَمُ الـــرّيشِ كاسِـــرُهْ

قالَتْ: فما دَعاكَ إلى إفشاءِ سِرِّها وسِرِّك؟ هَلّا سَتَرتَ عليكَ وعلَيها!

وحينَ سَمِعَتْ قولَ جرير:

طَرَقَتْـــكِ صـــائِدَةُ القلـــوبِ ولـــيس ذا ... وَقـــتَ الزيـــارَةِ فـــارجِعي بِسَـــلامِ

قالَت: أَوَلا أَخذْتَ بيَدِها وقُلْتَ لها ما يُقالُ لِمِثلِها! أنت عفيفٌ وفيكَ ضَعف.

وعندما سمعتْ قولَ نصيب:

ولَـــولا أنْ يُقـــالَ صَـــبا نَصـــيبٌ ... لَقُلْـــتُ بنَفسِـــي النَشـــأُ الصِّـــغارُ
بنَفســـي كُـــلُّ مَهضـــومٍ حَشـــاها ... إذا ظُلِمَـــتْ فَلَـــيسَ لهـــا انتِصـــارُ

قالَتْ: رَبَّيتَنا صِغارًا ومَدَحْتَنا كِبارًا[6].

(1) الأغاني: 86/11.
(2) يُنظر: العِقد الفريد: 130/6.
(3) يُنظَر: المصدر نفسه: 128/6.
(4) تراجم سيدات بيت النبوة: ص961.
(5) يُنظر: الأغاني: 165/14.
(6) يُنظر: الأغاني: 173/14-174.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

كذلك اشتهرَتْ مِن نساء قريش عائشةُ بنتُ طلحة، فقد ذاع صيتُها لأنَّها كانتْ شديدَةَ الحُسنِ والجَمال، ولم تكُن تَسترُ وجهَها مِن أحَد[1]. وقد أعجِبَ بها الكثيرُ مِن الشُعراء وذكروها في أشعارهم، وأهم هؤلاءِ الشعراء عُمر بن أبي ربيعة، فقد رآها مرةً تسيرُ على بغلةٍ فاستوقفها ليُسمِعَها ما قاله فيها، فأنشدها[2]:

يـا رَبَّـةَ البَغْلَـةِ الشَّـهباءِ هـل لـكِ فـي ... أنْ تَشـتَري مَيّتًـا لا تُرْهَقـي حَرَجـا
قالَـتْ بـدائِكَ مُـتْ أو عِـشْ تُعالِجُـهُ ... فمـا نـرى لـكَ فيمـا عنـدَنا فَرَجـا
قـد كُنْـتَ حَمَّلْتَنـا غيظًـا نُعالِجُـهُ ... فـإنْ بَعُـدْنا فقـد عَنَّيتَنـا حُججـا
ضَـنَّتْ بنائِلِهـا عنـهُ فقـد تركَـتْ ... فـي غَيـرِ ذَنـبٍ أبـا الخَطّـابِ مُختَلِجـا

وهذه الأبيات تكشفُ عن تقبّلِ المُجتمَعِ لحوار المرأةِ مع الشعراء الغرباء، بل وتغزّلهم بِها، حتى لو كانت المرأة مِن سادات قريش، الأمرُ الّذي يُؤَشِّرُ انفتاحًا اجتماعيًا لم يألفهُ العرب قبل هذا العصر.

ومِن الشعراءِ الّذين تناولوها بأشعارهم الحارثُ بنُ خالد المخزومي، وهو والي مكة الّذي أخَّرَ الصلاةَ مِن أجلِها لِتُتِمَّ طَوافِها، فعزلَه عبدُ الملك بن مروان لذلك، فكتب إليه: واللهِ لو لَمْ تَقضِ طَوافَها إلى الفَجرِ لَما كَبَّرت[3]. وقد كانت عائشةُ مادةً لغزله، يذكرها في أشعاره باسم جاريتِها "بُسْرَة"، من ذلك قوله[4]:

واهًـا لِبُسْـرَةَ لَـو يَـدنو الأميـرُ بهـا ... يـا لَيـتَ بُسْـرَةَ قَـد أمسَـتْ لنـا أمَمـا
حَلَّـتْ بِمَكَّـةَ لا دارٌ مُصـاقِبَةٌ ... هيهـات جيـرون ممَّـن يَسـكُنُ الحَرَمـا
يـا بُسْـرُ إنَّكِـمُ شَـطَّ البِعـادُ بِكُـمْ ... فَمـا تُنيلونَنـا وَصـلًا ولا نِعَمـا
قـد قُلْـتُ بـالخِيفِ إذ قالَـتْ لِجارَتِهـا ... أدامَ وَصْـلُ الّـذي أهـدى لَنـا الكَلِمـا
لا يُـرْغِمُ اللهُ أنفًـا أنـتَ حامِلُـهُ ... بَـل أنـفُ شـانيكَ فيمـا سَـرَّكُم رَغِمـا

ويَطولُ الحَديثُ لو تناوَلنا جميع أخبار السيدات العربيات في هذا العصر وتَتَبَّعنا نشاطاتِهِن، ولكن فيما تقدّم عينةً كافية لاستجلاء صورة هذه الطبقة مِن النِّساء في شعر شُعراءِ العصر الأموي وأخبارهم مَعَهُن.

ونستطيع أنْ نَستَخلِصَ مِن جميع ما تَقَدَّم، صورةً للمرأةِ توحي بعلوِّ مكانَتِها، ورِفعَةِ شأنِها على جميع الأصعدة، وفي جميع أغراض الشعر، إذ يفخَرُ الشُعراءُ بأمهاتِهم ونساءِ قبائِلِهم، وكانَ لها نصيبٌ وافرٌ في قصيدَةِ المَدح، بل حتّى في الهِجاء، كان الشعراء يستهدفونَ المرأةَ لرمزيتها الكبيرة في القبيلة، فهي رمزُ شرفِها وعِزَّتِها ومَنَعَتِها، وهي مِعيارُ قوّة رجالِها وغَيرتِهم وبَسالَتِهم. إلّا أنَّنا نواجِهُ في شعرِ الرثاءِ صورةً للمرأةِ مُغايرةً تمامًا لِكُلِّ ما سَبَق، فيبدو أنَّ المرأةَ الأم، أو الرمز، أو السيدة الشريفة، أو الجارية الظريفة أخَذَتْ نَصيبَها مِن الشعرِ في حياتِها وانقطع وحيُ الشعراءِ عن رثائها، وكذلك الحبيبةُ الّتي طالَما سالَت قصائدُ الغزلِ بحقِّها جَفَّ ينبوعِ المَشاعرِ عندَ رِثائها ولَو بِبَيتٍ واحد، وفي ذلك العجَب!

إنَّ امتناعَ الشعراءِ عن رثاءِ المَرأةِ في هذا العصر يُعَدُّ استجابةً للثقافةِ العربيةِ السائدة مُنذُ العصرِ الجاهلي، ثقافةٌ ترى في رثاءِ المرأةِ ضَعفًا، ورُبَّما عارًا، ويبدو أنَّ الحضارة الّتي سادَت العَصر الأموي لم تَستطع التخلّصَ مِن هذه النّظرةِ المُتَرَسِّخَةِ في تفكيرِ الناسِ وسلوكِهِم، وبذلك ظلَّت هذه الصورة السّلبية للمرأة وكأنَّها لا تستَحِقُّ الحُزن والبُكاء، والشاعرِ هو ابنُ البيئةِ والثقافة، بل هو المِرآةُ العاكسةُ لأنساقِ المُجتمَعِ الظاهرَةِ والمُضمَرة، لذلك نراه يستجيبُ لقوانين المُجتمَعِ فيخنقُ كلماتِه ويكتمُ أحزانَه ويُكَفكِفُ دموعَه كي لا تفضحُهُ وتجلبُ له العار! كما فعلَ جَريرٌ في رِثاءِ زَوجِه، فقال[5]:

لَـولا الحَيـاءُ لَهـاجَني اسـتعبارُ ... ولَـزُرْتُ قَبـرَكِ والحَبيـبُ يُـزارُ

أيُّ حَياءٍ هذا الّذي يمنعُ الرجلَ مِن بُكاءِ زوجَته، ولِمَ الخَجَلُ مِن زيارَةِ قَبرِها؟ إنَّه العُرفُ الاجتماعي السائد الّذي يُحَرِّمُ ذلك على الرّجلِ ويَعُدَّهُ مَنقصةً فيه إنْ فَعَلَها! وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ هذا البيتَ يُعَدُّ استجابةً لقوانين المُجتمَعِ وضغوطِه، إلّا أنَّه يَندُّ عن عاطفةٍ صادقةٍ ولوعَةٍ حارقةٍ، يبثُّها الشاعِرُ خَجِلًا، ويشكو كتمَها وَجِلًا، مُعتَرِضًا على هذه الأعرافِ مُستَسْلِمًا لها في آنٍ.

---

(1) يُنظر: الدرُّ المَنثور: ص284.
(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ص469.
(3) يُنظر: الأغاني: 81/1.
(4) شعر الحارث بن خالد المخزومي: ص95.
(5) ديوان جرير: ص862.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

وإنْ كانَ جريرُ قد كتم أحزانَه استجابةً للمُجتمَعِ وأعرافِه المانعةِ مِن رِثاءِ المَرأة، فإنَّ الفرزدق –على ما يبدو- يَتَبَنّى هذه النّظرة، ويرى أنَّ الوفاء للمرأةِ بعد وفاتِها بِبُكائِها وزيارَةِ قَبرِها أمرٌ لا طائلَ مِنهُ ولا يستَحِقُّ الوقوفَ عندَه، حتى لو كانت المُتَوَفّاة زوجه حدراء الّتي لَطالَما تَغَنّي بِحُبِّه لها، فيقول[1]:

يقولـــونَ زُرْ حَـــدراءَ والتُّـــرْبُ دونَهـــا ... وكيـــفَ بِشَـــيءٍ وَصْـــلُهُ قـــد تَقَطَّعـــا
وأهْـــوَنُ مَفقـــودٍ إذا المَـــوتُ نالَـــهُ ... علـــى المَـــرءِ مِـــن أصـــحابِه مَـــنْ تَقَنَّعـــا
وأهْـــوَنُ رُزْءٍ لامـــرىءٍ غَيـــرِ عـــاجِزٍ ... رَزِيَّـــةُ مُـــرْتَجِ الـــرَّوادِفِ أفرعـــا

ولكنْ مِن الشعراءِ مَن ينتفضُ بوجهِ المُجتمع وينتصرُ لإنسانيَّتِه ولوفائه، رافضًا تلك القيود، لا يعبَأ بالخجلِ والحَياء، رافعًا صوته بنَشيدِ الرِّثاء، فزوجُهُ جديرَةٌ بالحُزنِ والبُكاء، فها هو الوليدُ بنُ يزيد يرثي زوجَهُ فيقول[2]:

أَلَمّـــا تَعْلَمـــا سَـــلمى أقامَـــتْ ... مُضَـــمَّنَةَ مِـــنَ الصَّـــحراءِ لَحْـــدا
لَعَمْـــرُكَ يـــا وَليـــدُ لَقَـــد أجَنّـــوا ... بهـــا حَسَـــبًا ومَكرمـــةً ومَجـــدا
فَلَـــمْ أرَ مَيِّتًـــا أبكـــى لِعَـــينٍ ... وأكثَـــرَ جازِعًـــا وأَجَـــلَّ فَقْـــدا

إنَّه صراخٌ بوجهِ المُجتمع أكثرُ مِنه رثاءً، فهي ذاتُ حسَبٍ ومَجد، جديرَةٌ بالرثاء الذي يكون لِمَن هم دونَها مِن الرِّجال، ويُمنَعُ عنها وعن بناتِ جنسِها، إنَّه الظلمُ بعينِه، وقد رفضه.

المبحث الثاني
صورة المرأة في السياسة

امتاز العصر الأُموي عن بقية العصور بصبغتِه السياسية التي طغت على جميعِ مَناحي الحياة، فما إنْ استُشهِد الإمامُ علي (ع) وانتهت بموته الخِلافَةُ الراشدة حتى نشبَت الصراعات بين فئاتٍ عَديدَةٍ مِن المُسلمين، فتشكَّلَت ظاهرَةُ الأحزاب، كُلُّ حِزبٍ مِنها يَطلبُ الخِلافَةَ لِنَفسِه ويُدافِعُ عَن حَقِّه المَزعوم بِكُلِّ الأدوات والوَسائل، ومِنها الشِّعر.

والمَرأةُ بنتُ هذه الأجواء، عاشتها وتفاعَلَت مَعها وتركتْ أثَرها فيها، وقد اقتسمَت ولاءَها الأحزابُ الأربعة التي هيمَنَتْ على الساحةِ السياسيةِ في العصر الأُموي، وهي: الحزبُ الأموي، والشيعي، والزُّبَيري، والخارجي، وسنَتَبَيَّنُ صورَتَها بإيجازٍ عند تلك الأحزاب.

أولًا: الحزبُ الأمَوي

وهو الحزبُ المُنتَصِرُ سياسيًا، فقد آلَتْ إلَيه السلطَةُ بعد انتهاءِ الخِلافَةِ الراشدة، وسُمّيَ العَصرُ بأكمَلِه باسمِه. ولأنَّه حِزبُ السُّلطة كانت صورَةُ المَرأةِ فيه لا تخرجُ عَن صورَةِ المَرأةِ المُترَفَة، الباحثَةِ عن الحُبِّ خارجَ أسوارِ القَصرِ، بعيدًا عن رقابَة ساكنيها. ومِن أشهرِ سيداتِ البيت الأموي عاتكة بنت معاوية، التي التقَت الشاعر أبا دهبَل في الحَج فأعْجِبَ بها وقال فيها أبياتًا اشتُهِرَتْ وغُنِّيَتْ، وقد أعجبتها الأبياتُ حينَ سَمِعَتها فأُغرِمَت به، ثُمَّ حاولَ مُعاوية إبعادَهُ عن ابنَتِه، فدفعَ له المال كي يَترُكَ أمرَ ابنَتِه فقَبِلَ المالَ ولكنَّه لمْ يكُفَّ عن التَّشبيبِ بِها، ثُمَّ اتَّفَقَ مَعه مُعاوية على تزويجِه إحدى بناتِ عَمِّه ليكُفَّ عن ابنتِه[3]. وقد صوَّرَ عَلاقتَه بعاتكةَ وموقفَ أبيها مِن هذه العَلاقة بقوله[4]:

حَمـــى المَلِـــكُ الجَبّـــارُ عَنّـــي لِقاءَهـــا ... فَمِـــنْ دونِهـــا تُخْشـــى المَتـــالِفُ والقَتـــلُ
فَـــلا خَيـــرَ فـــي حُـــبٍّ يُخـــافُ وَبالُـــهُ ... ولا فـــي حَبيـــبٍ لا يكـــونُ لَـــهُ وَصْـــلُ
فَواكَبِـــدي إنّـــي شُـــهِرْتُ بِحُبِّهـــا ... ولَـــمْ يَـــكُ بَيْنَنـــا ســـاعَةً بَـــذْلُ

إنَّه يتَحَدّى المَخاطِرَ في سَبيل حُبِّه، ويَدعوها كذلك للمواجهة، ويَبدو أنَّها استجابَتْ له، لذلك اضطر معاويةُ لإغرائِه بالمال، ثُمَّ الزَّواج بسيدة مِن سيدات البيت الأمَوي.

(1) ديوان الفرزدق: ص364.
(2) ديوان الوليد بن يزيد: ص32.
(3) تُنظَر مُقَدِّمة ديوان أبي دهبل: ص19.
(4) ديوان أبي دهبل: ص99.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

ومِن سيدات البيتِ الأمَوي مَن أحَبَتْ الشُّعراءَ وسَعَينَ لهم، كما في قصّةِ بنت مروان بن الحَكَم مع الشاعر عمر بن أبي ربيعة الّتي أوردَها صاحبُ الأغاني[1]. وكذلك قصته مع فاطمة بنت عبد الملك[2]. وهذه القَصَص تُضمِرُ تَحتَها العديدَ مِن الصوَر، مِنها سعي أميرات البيت الأموي لإقامَةِ عَلاقاتِ الحُبِّ والغَرام، مِن دونِ الالتفات للمكانة السياسيةِ لِذَويها، وما قد يُسَبِّبُه لَهم ذلك مِن حَرَج. ومِنها صور الاستسلام المُجتَمَعي لمثلِ هذهِ العَلاقات، وإنْ كانتْ بصوَرٍ مُتفاوتة؛ فمُعاوية المَعروفُ ببطشهِ نراهُ يُساوِم العاشِق على تركِ ابنَتِه ويُقايضُ هذه العَلاقَةَ بالمال، ثُمَّ صورة التّحدي مِن الشاعِرِ ومحبوبَتِه لِمِثلِ هذه الحَواجِز، بِما يَشي بمساحة مِن الحُريّة الاجتماعية الّتي فرضَت قوانينَها حتى على رأسِ السُّلطَةِ الأموية.

كما تعكسُ لنا بعضُ عَلاقات رجال البيت الأموي بالنساء حجم التهتك والابتذال الذي وصلَ له بعضُهم، كما مَرَّ بِنا في قصّةِ الحارثِ بنِ خالدِ المخزومي مع عائشة بنت طلحة، وكيفَ أنَّه منعَ الأذانَ والصَّلاةَ لأجلِها كي تُتِمَّ طَوافَها.

كما تعكسُ لنا عَلاقَة بعض رجالات هذا البيت بالجواري، مدى تحكم هؤلاء الجواري بهم، بل تحكُّم بَعضُهنَّ بمقاليد السلطة، فَتُنَصِّبُ مَن تَشاء وتَعزِلُ مَن تَشاء، كما مَرَّت بِنا قصّة الجارية "حبابة" مع يزيد بن عبد الملك. هذه القصة الّتي تُكشفُ في الوَقتِ نفسِه عن ضعفِ بعضِ سيداتِ القَصر الأموي أمام العنصر النسوي الوافد مِن الجواري والمُغَنيات؛ فقد مَرَّ بِنا كيف أنَّ "سعدة" زوج الخليفة يزيد بن عبد الملك تستعين بالجاريةِ حبابة في قضاءِ حوائجِها عند زوجها الخليفة! وهذه الحالة ما كانت لتكون لَولا تَهَتُّكُ بعضِ رجالاتِ السلطةِ الأمويةِ، وانحلالُهم الأخلاقي، وانصرافُهم للمَلَذّات، مِن دونِ اهتمام لشؤونِ الحُكمِ ومُتَطَلَّباتِه.

ثانيًا: الحزب الشيعيّ

لمْ تتساوق صورةُ المرأة في شعرِ شعراءِ هذا الحزب مع صورَتِها الّتي رسمَتها لنا كتبُ التاريخ والأخبار، وهي صُوَرٌ حافلةٌ بالمواجهة وبالأدوارِ السياسيّةِ الكبيرة الّتي قامَت بها نِساء هذا الحزب، ولاسيّما السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ودورُها الكبير في واقعةِ كربلاء، إلّا أنّنا لا نَجِدُ شِعرًا لها أو لأي شاعرٍ آخَر يُسَجِّلُ بشعرِه ما قامَت بهِ هي أو أيُّ امرأةٍ أخرى مِن رَفيقاتِها في كربلاء، ولم تشتَهر مِن نساء هذا الحزب، ولاسيما مِن البيت العَلَوي نفسه إلّا السيدة سكينة بنت الحسين (ع)، والأخبارُ عنها تكادُ تقتَصِرُ على نشاطاتِها الاجتماعيّةِ والأدبيةِ فحسب، وقد أورَدنا طرفًا مِنها في الفصل السابق، أمّا نشاطها السياسي فلَم نجده لا في الشعرِ المَنسوبِ لها ولا في الشعرِ الّذي قِيلَ بِحَقِّها. وقد وردَت لها بعضُ الأبيات في رثاءِ أبيها الإمامِ الحُسَين (ع)، كقولِها[3]:

لا تَعذليـــــهِ فَهُـــــم قـــــاطِعٌ طَرُقـــــه	**فَعينُـــــهُ بـــــدموعٍ ذَرَّفٍ غَدِقـــــة**
إنَّ الحُسَـــــينَ غـــــداةَ الطَّـــــفِّ يَرشِـــــقُهُ	**رَيـــبَ المَنـــونِ فَمـــا أنْفَكَّ يُخطِـــئُ الحَدَقـــة**
بِكَـــــفٍّ شَـــــرِّ عِبـــــادِ اللهِ كُلِّهِـــــمُ	**نَسْـــلُ البَغايـــا وجَـــيشُ المُـــرَّقِ الفَسَـــقَة**
يـــا أُمَّـــةَ السُّـــوءِ هـــاتوا مـــا احتجـــاجكُمُ	**غَـــدًا وجُلُّكُـــم بالسَّـــيفِ قـــد صَـــفَقَه**
الوَيـــلُ حَـــلَّ بِكُـــم إلّا بِمَـــنْ لَحِقَـــه	**صَـــيَّرتموهُ لِأَرمـــاحِ العِـــدا دَرِقـــة**
لكـــنْ علـــى ابـــنِ رســـولِ اللهِ فانسَـــكبي	**قَيحًـــا ودَمعًـــا وفـــي إثرِهمـــا العَلَقـــة**

تُسجِّلُ السيدُ سكينة (ع) في مَرثيَتِها هذه مَوقِفًا سياسيًا ليسَ ضِدَّ قَتَلَةِ أبيها فَحَسب، بل ضد الأمّة كُلِّها لأنّها خذلَتْ أباها ولَمْ تُسانِدْهُ في مواجهةِ السلطةِ الأمَوية، فتبدو في هذه الأبيات سيدَةً ثائرة ضدَّ السّلطَة وأدواتِها، وقد وصفت قتلَةَ أبيها بأبشعِ الصِّفات، فَهُمْ فَسَقَةٌ وأولادُ بَغايا. كما تَبدو امرأةً ناقِمةً على الأُمَّةِ كُلِّها لسكوتِها على الظلم وتكاسلها عن نصرَةِ الحَق، وهُم بذلك يَستحِقّون الويلَ والعذاب، مُستَثنيةً مَن التحَقَ بركبِ الحُسَينِ ونَصَرَه، وفي ذلك احتجاجٌ خَفيٌّ لصحّةِ حِزبِها وأحَقيَّتِه، بل فيهِ حَصْرٌ لِلحَقِّ بـه دونَ سِواه مِن الأحزابِ والجَماعاتِ المُناوِئة.

(1) تُنظَر القصة في الأغاني: 69/1.
(2) تُنظر القصة في مُقَدِّمة ديوان عمر بن أبي ربيعة: ص50.
(3) موسوعة شعراء العربية-شعراء العصر الأموي: فالح نصيف الحجية الكيلاني، (من دون معلومات عن النشر)، المجلد الثالث، ص303.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

وتَبدو صورةُ المرأةِ عند شُعراءِ هذا الحزب هامشية، فقد قَصَروا شعرَهم على نصرَةِ القضيةِ والدّفاع عن العقيدة، والولاءِ لآلِ البَيت (ع)، ولا يجدونَ مكانًا للمرأةِ في أشعارِهم، وهذا ما أكّدَه شاعرُ الشيعةِ الأوّل الكميت بن زيد الأسدي في أكثَرِ مِن قصيدة، مِنها قوله في مَطلَعِ إحدى قصائدِه الهاشمية[1]:

طَرِبْتُ وما شَوقًا إلى البِيضِ أطْرَبُ ولا لَعِبًا مِنّي، أذو الشَّيبِ يَلعَبُ

وقد كرَّر نفيَه بأنْ تكون المرأة أو المَلذّات الأخرى سببَ طَرَبِه، فقال[2]:

أنّى ومِن أينَ آبَكَ الطَّرَبُ مِنْ حَيثُ لا صَبوَةٌ وَلا رِيَبُ
لا مِنْ طِلابِ المُحَجَّباتِ إذا أُلقِينَ دونَ المَعاصِرِ الحُجُبُ

إنَّه يسيرُ على عادة الشعراء القدماء في ابتداءِ قصائدِهم بمُقَدّمات، وقد اختارَ أنْ تكونَ مُقَدّماتُ قصائدِه غزلية ولكنَّها لا تشبَه المقدّمات الغزلية عند غيرِهِ مِن الشعراء الذين يتغنّون بالمرأة؛ لأنَّ هذه المَطالع لا تَتَناسَب والغَرَض السياسي الّذي يكتبُ فيه؛ لذلك شحنَ مُقدّماتِه بدلالات سَلبيّة تجاه المرأة؛ ليؤكّدَ بأنَّه لا يميلُ إلى حُبِّ النساء، وأنَّ الغواني لا يملكنَ قلبَه، وأنَّ طَرَبَهُ لم يكُنْ بسببِ الحُبِّ أو الشوق، فهو إذ يَنفي عَن نفسِهِ اللَّعِب نراه لا يَنفي عَنها الطَّرَب بَل يَنفي أسبابَه؛ فنفى أنْ تكونَ المرأةُ هي الباعِثُ لهذا الطَّرَبِ عندهُ، كما هو حالُ أغلَب الشّعراء، بل هو مشغوفٌ بِحُبِّ النّبي وعِترَتِه، وقد شغله هذا الحُبِّ عن حُبِّ الغواني أو الطَّرَبِ للبِيض؛ لذلك رفض الحديث الإيجابي عن المَلذّات والسّعي إليها، لأنّها لا تَتّفقُ مع الهدفِ السامي الّذي يسعى إليه في قصائدِه، وهو مَدحُ النّبي وآله، والدّفاع عن حَقّهم، ولاسيما أنَّه شاعرَهم الأول الّذي عُرِفَ بالدّفاع عن عقيدتِه الشيعية، وسعى جاهدًا لإثبات أحقيّة الهاشميين بالخِلافة، وتفنيد حُجَجِ الخصوم، لذلك نرى حديثه عن المرأةِ في بعضِ مُقَدّماتِه حديثًا سلبيًا، يتنَصّلُ فيه عن السعي إلى حُبِّها، ويعدُّ ذلك مِمّا لا يَليقُ به، وأنَّ المرأةَ لا تستطيعُ إطرابه فقلبُه مشغوفٌ بِحُبِّ الرسول وأهل بيته. ونستطيعُ القول إنَّ هذا النّفي المُتكرِّر دَليلٌ على حضورِ المَرأةِ في ذهنه، فقد أثبَتَ وجودَها مِن حيثُ أرادَ نَفيه.

وتتجسَّدُ صورَةُ الثبات وتُرسمُ لوحة الوفاء في مواقف بعض نساءِ هذا الحزب، ومنهن زوجُ المُختار الثقفي؛ عَمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري. فعندما دخلَ مصعبُ بنُ الزبير الكوفة قتلَ "عِدَّةَ آلافٍ مِمَّن طالَبَ بِدَمِ الحُسَين، وتَتَبَّعَ الشيعةَ بالقتل بالكوفةِ وغيرِها، وأتى بحرَمِ المختار الثقفي فدعاهنَّ إلى البراءَةِ مِنه، فَفَعَلْنَ إلّا حُرمَتَين إحداهُما بِنتُ سَمرَةَ بنِ جُندُب الفزاري، والثانيةُ ابنةُ النعمان بن بشير الأنصاري، وقالت: كيف نتَبَرَّأُ مِن رَجُلٍ يَذكُرُ الله، وقد بَذَلَ دَمَهُ للهِ ولرسولِهِ في طَلَبِ قَتَلَةِ ابنِ بنتِ رَسولِ الله وأهلِ شيعَتِه؟ فكتبَ إلى أخيه عبد الله بخبَرِهما وما قالَتا، فكتَبَ إلَيه: إنْ هُما رَجَعَتا عَمّا عَليه وتَبَرَّأتا مِنه وإلّا فاقتُلْهُما، فعَرَضَهُما مُصعَب على السيف فرجَعَت بِنتُ سَمرة ولَعَنَتهُ وتَبَرَّأَتْ مِنه، وأَبَتْ بِنتُ النعمان بن بشير وقالَت: شهادَةٌ أرزَقُها فأتركها؟ كلا!... إنَّها مَوتَةٌ ثُمَّ الجنَّةَ والقدومُ على الرَّسولِ وأهلِ بَيتِه، واللهِ لا يكون، آتي مع ابنِ هندٍ فأتبَعُه وأترَك ابنَ أبي طالب، اللّهُمَّ اشهدْ أنّي تَبِعَةٌ لِنَبيِّك وابنِ بنتِهِ وأهلِ بَيتِهِ وشيعَتِه، ثُمَّ قَدَّمَها فَقُتِلَتْ صَبرًا، وفيها يَقولُ عمر:

إنَّ مِن أعْجَبِ الأعاجيبِ عِندي قتلُ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطبولِ
قتلوها ظُلْمًا على غَيرِ جُرْمٍ إنَّ لله دَرّها مِن قَتيلِ
كُتِبَ القَتلُ والقِتالُ علينا وعلى الغانياتِ جَرِّ الذيولِ"[3]

يُصَوِّرُ الشاعِرُ مَظلوميَّةَ هذه المرأةِ ثُمَّ يُعَرِّجُ للحديثِ عن مظلوميَّةِ الشيعةِ يومَئذ، فحصّةُ رجالُ هذا الحزبِ القَتل، وحصّةُ نسائه السّبي.

وقد كشفَ موقفُ ابنةِ النعمان شجاعتها وصلابتها في المواجهة، وثباتَها على العَقيدة، وأنَّ موقفها الفكري والعَقَدي والسياسي مبنيٌّ على وعيٍّ مِنها، وهي بذلك تُمَثِّلُ صورةَ المرأةِ في هذا الحزب.

ثالثًا: الحزب الزُّبَيريّ

وهذا الحزبُ هو أضعفُ أحزاب هذا العصر، وجماعتهُ أقلُّ إيمانًا بمبادئه، وهو حزبٌ قائمٌ على العَصَبيَةِ القرشية المُعادية للأمويين، ولم يستند إلى عقيدة دينية في مواجهته للأمَويين كما هو الحال مع الحزبَين: الشيعيّ والخارجيّ.

(1) حياة الشعر في الكوفة: ص717.
(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(3) مروج الذهب: 99/3.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

وأشهرُ شعراء هذا الحزب هو عبد الله بنُ قيسِ الرُّقَيّات، فهو شاعرهم الأوحد المُنافِحُ عن الحزب ورجالاته تجاه الخصوم، ولاسيما الأمويين، وقد اتَّخَذَ عُبيد الله مِن المرأةِ أداةً مشحونةً بالدّلالاتِ والرموز، ووظَّفها توظيفًا سياسيًا يخدمُ قضاياه الحزبيّة.

وقد أمعنَ عبيد الله في توظيف ما يُسمّى في تاريخ الأدب العربي الغزل الكيدي أو الغزل السياسي، فنضجَ هذا اللّونُ مِن الغزلِ على يَدَيه، إذ كان "يُخاصِمُ الرِّجالَ دون النِّساء، وكانَ يَتَّخِذُ النِّساءَ وسيلةً إلى ضربِ الرجال. كان يُريدُ أنْ يَتَمَلَّقَ النّساء وأنْ يُرضيَهُنَّ عن نَفسِه وأنْ يُحَبِّبَ إليهِنَّ هذا الغزلَ الهجائي الذي كان يَسوءُ أزواجَهنَّ وأبناءَهنَّ وعصبَتَهنَّ بوجهٍ عام، وقد وصلَ ابنُ قيسِ الرُّقَيّات مِن هذا الغزلِ الهجائي إلى كُلِّ ما كانَ يُريد، فَأَحْفَظَ بَني أُمَيَّةَ عليه أشَدَّ إحفاظٍ حتى هَدَروا دَمَه"[1].

ومِن أشعارِه الكيديةِ قصيدته بحقِّ أمِّ البَنين زَوجُ الوليدِ بنِ عبد الملك، قال فيها[2]:

يرانـــــي هكـــــذا أمشـــــي ... فَيُوعِـــــدُها ويَضْـــــرِبُها
ظَلِلْـــــتُ علـــــى نَمارِقِهـــــا ... أُفَـــــدّيها وأَحْلُبُهـــــا
فَـــــدَعْ هـــــذا ولكـــــنْ حـــــا ... جَـــــةً قـــــد كُنْـــــتُ أطْلُبُهـــــا
إلـــــى أُمِّ البَنـــــينَ مَتـــــى ... يُقَرِّبُهـــــا مُقَرِّبُهـــــا
أتَتْنـــــي فـــــي المَنـــــامِ فَقُلْـــــ ... ـــــتُ هـــــذا حـــــينَ أَعْقَبُهـــــا
فَلَمّـــــا أنْ فَرِحـــــتُ بِهـــــا ... ومـــــالَ عَلَـــــيَّ أعْـــــذَبُها
شَـــــرِبْتُ بريقِهـــــا حتـــــى ... نَهِلْـــــتُ وبِـــــتُّ أُشْـــــرِبُها
وَبِـــــتُّ ضَـــــجيعُها جَـــــذْلا ... نَ تُعْجِبُنـــــي وأُعْجِبُهـــــا
أُعالِجُهـــــا فَتَصـــــرَعُني ... فأَرْضَـــــيها وأُغْضِـــــبُها
فكانَـــــتْ ليلَـــــةً فـــــي النَّـــــو ... مِ نُسَـــــمِّرُها ونَلعَبُهـــــا

أسرفَ الشاعرُ بتفاصيلِ العَلاقة بصورَةٍ ماجنةٍ خاليةٍ من المروءة، فالمُهم عنده تحقيقُ الغرض السياسي بعيدًا عن أيِّ وازعٍ ديني أو أخلاقي. وهو بذلك حقَّقَ مُرادَه ونالَ مِن خَصمِه، وسلاحه في ذلك المرأة، وليست أي امرأة؛ فهي تنتمي إلى واحدٍ مِن أهم بيوتات الأمويين، وهي زَوجُ الوليد الّذي يُعَدُّ مِن أركان النظام الأمَوي، ومع ذلك صوّرها على أنَّها امرأةٌ مُبتَذَلة ليسَ لها مِن الرّجالِ مَن يصونُها، فصوَّر بالتّفصيل تلك اللّيلة الماجنة الّتي قضاها مَعَها، ولكنَّه في البَيتِ الأخير أعلَنَ بأنَّ ما حَصَلَ هو مُجَرَّدُ حُلم، وبذلك حقَّقَ هدَفَه مِن القصيدةِ، فنال استحسانَ أُمِّ البَنين وأغضبَ زوجَها وأهلَها.

كما تَغَزَّلَ بعاتكة زوج عبد الملك بن مروان وبنت يزيد، فقال[3]:

أعاتِـــكُ بِنـــتُ العَبشَـــميَّةِ عاتِكـــا ... أشيبـــي امـــرأ أمســـى بِحُبِّـــكِ هالِكـــا
بَـــدَتْ لـــيَ فـــي أترابِهـــا فَتَتَلْتَنـــي ... كـــذلكَ يَقـــتُلْنَ الرِّجـــالَ كـــذلكا
إذا غَفَلَـــتْ عَنّـــا العيـــونُ الّتـــي تـــرى ... سَـــلَكْنَ بِنـــا حَيـــثُ اشْـــتَهَينَ المَســـالِكا
وقالَـــتْ لَـــو أنـــا نســـتَطيعُ لَـــزارَكُمْ ... طَبيبـــانِ مِنّـــا عالِمـــانِ بِـــدائِكا
ولكـــنَّ قَـــومي أحـــدَثوا بعـــدَ عَهـــدِنا ... وعَهـــدِكَ أضـــغانًا كَلِفْـــنَ بِشـــانِكا

يبثُّ الشاعرُ في هذه الأبيات ما تجيشُ به نفسه مِن حُبٍّ لعاتكة، ثُمَّ يَتَغَزَّلُ بِها ويُصَوِّرُ جمالَها وما تتركه نظراتُها فيه مِن عِلَلٍ تَستَدعي دواء، وهو بلا شك حُبٌّ مُصطَنَعٌ، وغَزَلٌ رمزي "يَختَنِقُ بالنَّشيج المُرّ، تُخالِطُهُ مرارَةُ الدَّمع، وتَتَغَلْغَلُ فيه مَواجِعُ الخَيبَةِ فَتَكسِرُ حِدَّتَهُ إلّا قَليلًا، وهو عابِقٌ بالحَنينِ إلى وحدةِ الجماعَةِ القرشيّة"[4]. تلك الوحدة الّتي فصَمَ الأمَويّون عُراها، باعترافِ ابنتِهم، فهو يتحدَّثُ على لِسانِها في البَيتَين الأخيرَين، وقد حَمَّلَتْ قَومَها مَسؤولية الأحقاد والضغائن بين الجماعة القرشية، وصوَّرها وكأنَّها على وَعيٍّ تامٍّ بالأحداث السياسية وأسبابِها ومآلاتِها.

ويبدو أنَّ للمرأةِ شأنًا خاصًّا عند عبيد الله، فقد اتّخذَ مِنها رَمزًا يشحنه بالدلالات المُعَبِّرة عن مَوقفه السياسي، وغرضًا يَصِلُ عن طريقِه إلى تحقيق أهدافِه في مُناكفةِ الخصومِ وتبكيتِهم، وقد جَلبَ له هذا الموقفُ

(1) حديث الأربعاء: ص250- 251.
(2) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ص121.
(3) المصدر نفسه: ص128.
(4) قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي: ص625.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

غضبَ الأمَويين وحنقهم، وأهدَروا دَمَه، ولَم يُخَلِّصْهُ مِن هذه النائرةِ إلّا المرأة؛ إذ يروي صاحبُ الأغاني أنَّ ابنَ قيس الرقيات لجأ بعد مقتل مصعب بن الزبير إلى بيتٍ مِن بيوتات الكوفة كانت فيه امرأة وبناتها، وقد حمته ورعته لأكثرِ مِن عام، ثُمَّ قصد عبد الله بنَ جعفر، فكتبَ إلى أمِّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان و زوج الوليد يسألها أنْ تشفعَ لعُبيد الله عند عمِّها عبد الملك، ففعلتْ، وسمحُ له عبدُ الملكِ بالدّخولِ عليه[1]. ويُعَلِّقُ الدكتور طه حسين على هذه القصة بقوله: "فأدانَ بحياتِه لامرأتَين؛ أوَتْهُ إحداهُما بالكوفَةِ حينَ أُهْدِرَ دَمُه، وشفَعَت له الأخرى"[2].

إنَّ المرأةَ في هذا الحزب السياسي لم تُسَجِّل حضورًا يُذكَر، وكان حضورها مقصورًا على ما ينظمه شاعرُه الأوّل؛ أي عبيد الله بن قيس الرقيات، وكانت صورَتها في شعره صورةً رمزية، يتغزَّلُ بها غزلًا كيديًا، اتّخذَ مِنه وسيلةً للطعنِ بخصومِ الحزبِ ولاسيما الأمويين.

رابعًا: الحزب الخارجيّ

يختلفُ هذا الحزبُ عن بقيةِ أحزابِ العصرِ الأموي، ونحن هُنا لسنا بصدَدِ تقييم هذه الفرقة ولا الحُكم عليها بالخطأ أو الصواب، بقدر ما نسعى إلى استجلاءِ صورةِ المرأةِ في شعرهم. ونستطيع القول إنَّ صورة المرأة في شعر الخوارج أكثر وضوحًا وبروزًا مِن باقي الأحزاب؛ وهذا نابعٌ مِن اختلاف الجماعة ذاتها، فكرًا وعقيدةً وسلوكًا؛ فهي جماعة مُتَعَصّبة تستأنِسُ بالمَوت دون العقيدة، وتُقبِلُ عَلى القِتالِ إقبالًا يُربكُ الخصوم، يَستوي في ذلك رجالُ الحزبِ ونسائِه، حتى اشتهرَتْ فيه بعضُ النّساء، وسجّل لها ديوانهم الشعري صورًا حافلةً بالشجاعةِ والتضحيةِ والفداء. ومِن أشهرِ نساؤهم غزالة الحَرورية زَوجُ شبيب الخارجي الّتي وصلَت إلى مرتبة القيادة[3]، وهَزَمَتْ الحَجاجَ في الكوفة، هي وزوجُها شبيب[4]، وقد سَجَّل الشاعرُ الخارجي عمرانَ بن حَطّان هذه الحادثَةَ بشعرِه، فقالَ مُفتَخرًا بِغَزالَة[5]:

أَسَـــدٌ عَلَـــيَّ وفـــي الحـــروبِ نَعامَـــةً ... رَبـــداءُ تَجْفُـــلُ مِـــن صَـــفيرِ الصّـــافِرِ
هَـــلّا بـــرَزْتَ إلـــى غَزالَـــةَ فـــي الـــوَغى ... بَـــلْ كـــانَ قَلبُـــكَ فـــي جَنـــاحَي طـــائِرِ
صَـــدَعَتْ غَزالَـــةُ قَلبَـــهُ بِفَـــوارِسٍ ... تَرَكَـــتْ مَنـــابِرَهُ كـــأَمْسِ الـــدّابِرِ

ويقولُ الشاعرُ عتبانُ بن واصلة مُخاطبًا عبدَ الملك بن مروان، ومُفتَخِرًا بغزالة[6]:

فَمِنّـــا سُـــوَيدٌ والبَطـــينُ وقَعْنَـــبٌ ... ومِنّـــا أميـــرُ المـــؤمِنينَ شَـــبيبُ
غَزالَـــةُ ذاتُ النَّـــذرِ مِنّـــا حَميـــدَةٌ ... لَهـــا فـــي سِـــهامِ المُســـلمينَ نَصـــيبُ

لقد رسمَ الشعرُ الخارجيّ صورةً للمرأةِ مُغايرةً تمامًا لصورَتِها عند بقيّة الأحزاب، بل مُغايرٌ لصورةِ المرأةِ في الشعرِ العربي في العصورِ كافّة؛ فهي المرأةُ الّتي تنشغلُ بالقِتال لا باللّهو والحُب، وهي الّتي تستَبدِلُ السّيفَ بالحُليّ والمُجَوهَرات، كما تقولُ مريم، زَوجُ المُختارِ بنِ عَوف الخارجيّ[7]:

أنـــا ابنَـــةُ الشَّـــيخِ الكـــريمِ الأعلَـــمْ
مَـــنْ سَـــأَلَ عـــن اســـمي فاســـمي مَـــريَمْ
بِعْـــتُ سِـــواريّ بِسَـــيفٍ مِخْـــذَمْ

فهي تفخَرُ بنفسِها وبأبيها، وتُعلِنُ استعدادَها للقتال وترك ملذّات الدنيا التي غالبًا ما تَستَهوي النِّساء، وهذا الاستِعدادُ للقتال سِمَةٌ بارزَةٌ بروزًا كبيرًا في الشعر الخارجيّ، بل قد تُصادِفنا صورةً صادمة، تُعَبِّرُ بها المرأةُ عن سأمِها مِن الحَياةِ وتمنّيها الشهادة، فتُعلِنُ استعدادها النفسي للموت، كما فعلَتْ أمُّ حكيم، زوجُ قُطَريّ بن الفجاءة حين قالَت مُرتَجِزة[8]:

أَحْمِـــلُ رَأسًـــا قـــد سَـــئِمْتُ حَمْلَـــهْ

(1) يُنظر: الأغاني: 157/4.
(2) حديث الأربعاء: ص378.
(3) يُنظر: الأغاني: 314/20.
(4) يُنظر: مروج الذهب: 123/3.
(5) شعر الخوارج: ص25.
(6) شعر الخوارج: ص183.
(7) المصدر نفسه: ص121-122.
(8) المصدر نفسه: ص41.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

وقـــد مَلَلْـــتُ دَهنَـــهُ وغَســـلَهْ
أَلا فَتـــىً يَحْمِـــلُ عَنّـــي ثَقْلَـــهْ

وتكثُرُ هذه الصوَرُ في الشعرِ الخارجي على نَحوٍ يجعلَنا نطمَئنُّ بالحُكم بأنَّ المرأةَ الخارجيّةَ كانت –في الغالب- امرأةً مُناضلةً جريئةً شجاعة، وكانتْ مرآةً تعكِسُ فكرَ هذه الجماعةِ، وتُجَلّي نظرَتَهم للمرأة، فقد تَقَبَّلوا دورها الذي لم تألَفه الثقافةُ العربيةِ قبلَهم، ووصلت المرأةُ عندَهم إلى مراكزِ القيادة، وساندت الرجل في جميع الحروبِ الّتي خاضوها. وقد تُصادِفُنا صورةُ المرأةِ المُستعدَّةِ للقتال وتتمنّاه، ولَكنَّ زوجَها يَحولُ دون أمنيتِها تلك، كما عَبَّرَ أحَدُ شُعراءِ الخَوارجِ مُخاطِبًا امرأتَه[1]:

إنَّ الحَرورِيَّـــةَ الحَـــرّى إذا رَكِبـــوا ... لا يَســـتَطيعُ لهُـــم أمثالُـــكِ الطِّلَبـــا
إنْ يَركَبـــوا فَرَسًـــا لا تَركَبـــي فَرَسًـــا ... ولا تُطيقـــي مـــع الرّجالَـــةِ الخَبَبـــا

ويبدو أنَّ هذه الصورة نابعةٌ مِن معرفَةِ هذا الرجلِ بحالِ زَوجِه؛ فمُبَرِّرُ رَفضِهِ قائمٌ على الاستعداد الجَسَدي لا النَّفسي ولا العَقَدي، فهو لم يُنكِر أصل المَسألَةِ، أي اشتراك المرأةِ بالقتال وهي مَحكومٌ عليها بالقعود، وقد أبدَتْ هي الاستعدادَ النفسي للقتال.

ولمْ تقتصرْ صورةُ المرأةِ الخارجية على مُشاركتها بالقتالِ أو الاستعداد له، بل نراها امرأةً صابرةً ثابتةً على المبدأ، تستَصغِرُ التضحياتِ مِن أجلِ العقيدة، وهذا ما نراه في رِثاء قَتلاهِنَّ، إذ يَبدونَ صابراتٍ مُحتَسِبات، كما في قول عَمرة بنت الحارِث في رثاء ابنِها عمران الراسبيّ[2]:

اللهُ أيَّـــدَ عِمرانَـــا وطَهَّـــرَهُ ... وكـــانَ عِمـــرانُ يـــدعو اللهَ فـــي السَّـــحَرِ
يَـــدعوهُ ســـرًّا وإعْلانًـــا لِيَرزُقَـــهُ ... شـــهادَةً بِيَـــدَي مِلحـــادَةٍ غـــدَرِ
وَلّـــى صَـــحابَتُهُ عَـــن حَـــرِّ مَلحَمَـــةٍ ... وشَـــدَّ عِمـــرانُ كالضـــرغامَةِ الهُصَـــرِ

فهي إذ ترثي ابنَها تفخَرُ به وبشجاعَته وثباته، ولا ترى في شهادَتِه إلّا أمنيةً طالما ألحَّ بالدّعاء لنوالِها على أيدي أهلِ الغَدر، وقد تحقَّ له مُرادَه، وهي راضيةٌ بهذا المَصير مُفتَخِرَةٌ به.

وهذه الصورة هي الغالبة في مراثي النساء الخارجيّات، ولكن هذا لا يمنع رجوع المرأةِ الخارجيّةِ إلى حالَتِها الإنسانيّةِ الطبيعيّة، فتذرفُ الدموعَ على الشهداء، وتُبدي الانكسار أمام المَصائب، كما في رثاءِ امرأةٍ مِن الخوارج أخاها:

مَـــنْ لِعَـــينٍ رَيّـــا مِـــنَ الـــدَّمعِ عَبـــرى ... ولِـــنَفْسٍ مِـــنَ المَصـــائِبِ حَـــرّى
أفسَـــدَتْ عَيشَـــنا صـــروفُ اللّيـــالي ... وَوِقـــاعٌ مِـــنَ الكتائِـــبِ تَثـــرى
كُلَّمـــا سَـــكَنَتْ حَـــرارَةُ وَجـــدٍ ... مِـــنْ فَقيـــدٍ مِنّـــا تَجينـــا بـــأُخرى

وهذه الصورة لا تُقَلِّلُ مِنْ شأنِ المرأةِ الخارجيّة، بل تنسجم مع الطبيعة الإنسانية التي تتأثّرُ بفقد الأحبّةِ بصرفِ النظرِ عن أحقيّة القضية التي يموتون لأجلها؛ فالحربُ، لأيِّ سَببٍ كان، لا ينتجُ عنها غيرَ الخرابِ والموت واجترار المصائب. ولعلَّ هذه النتيجة الحَتمية للحرب هي الّتي دفعَت بعض زوجات الخوارج إلى دعوتِهم للقعودِ عن القتال؛ خشيةً عليهم مِن هذا المَصير، في صورةٍ مُغايرَةٍ للصورَةِ الأولى الّتي رأينا فيها المرأة الخارجية بين الاشتراك بالقتال والاستعدادِ له أو الصبر على بلاءاتِه، وقد سجَّلَ الكثيرُ مِن الشعراءِ الخوارج حوارَهم مع نسائهم وهُنَّ يسعَينَ لتثنيهِم عن القتال، ورفضهم الاستجابةَ لهُنَّ، كقولِ الأعرجِ المُعَنيّ[3]:

تُعَيِّرُنـــي بـــالحَربِ عُرســـي ومـــا دَرَتْ ... بـــأنّي لهـــا فـــي كُـــلِّ مـــا أمَـــرَتْ ضِـــدُّ
لَحـــا اللهُ قَومًـــا يقعـــدونَ وعِنـــدَهُم ... ســـيوفٌ، ولـــم يُعصِـــبْ بأيـــديهِمُ قِـــدُّ

ويقولُ في قصيدةٍ أخرى[4]:

أرى أمَّ ســـهلٍ مـــا تَـــزالُ تَفَجَّـــعُ ... تَلـــومُ ومـــا أدري عَـــلامَ تَوَجَّـــعُ
تَلـــومُ علـــى أنْ أمـــنَحَ الـــوَرْدَ لَقحَـــةً ... ومـــا تَســـتَوي والـــوَرْدَ ســـاعَةَ نُفـــزَعُ

(1) المصدر نفسه: ص 231-232.
(2) شعر الخوارج: ص73.
(3) المصدر نفسه: ص231.
(4) المصدر نفسه: ص243.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

كما حاولَتْ زوجَةُ زياد الأعسَم -وهو مِن الشراةِ- أنْ تمنَعَ زوجها عن القتالِ فقال[1]:

تُعـــاتِبُني عُرســـي علـــى أنْ أطيعَهـــا ... وقبـــلَ سُـــلَيمى مـــا عَصَـــيتُ الغَوانيـــا
فكُفِّـــي سُـــلَيمى واترُكـــي اللّـــومَ إنَّنـــي ... أرى فتنـــةً صَـــمّاءَ تُبْـــدي المَخازيـــا
فكيـــفَ قعـــودي والشـــراةُ كمـــا أرى ... عِـــزينَ يُلاقـــونَ البَلايـــا الـــدَّواهيا

وقد كرَّرَ بعضُ شعراءِ الخوارج هذه الصورة، فصوّروا نساءهم عاذلاتٍ لهم على مواقفهم الجهادية، حريصاتٍ على سلامَتهم، يُحاوِلْنَ مَنعَهم مِن الاشتراكِ في المَعارك، ولكنَّهم لا يَستَجيبون لهذه الدّعوات، ويَمضون في أمرِهم التزامًا بمَبادئِهم ودفاعًا عن عقيدَتِهم التي يُؤمِنون بها.

ومِن مظاهر قوة العقيدةِ لدى أفراد هذه الجماعَةِ بشكلٍ عام، ونسائِها بشكلٍ خاص، قدرتَهم على التأثير في المُقابِل وضَمِّهِ إلى صفوفِ الجماعة، كما فعلتْ جمرة مع الشّاعر عِمران بن حطّان، فقد جاء في الأخبار أنَّ عمرانَ بنَ حطّان صار مِن القعدة، بسَبَبُ زواجِه مِن جمرة، وكانتْ مِن هذه الجماعة، فحاولَ رَدَّها عن مَذهَبِها فأضَلَّته[2].

وتبرزُ مكانة المرأة عند هذا الحزب بشكلٍ جَليٍّ في غرضِ الرّثاء، فقد رَثوا المرأةَ وبَكوها بعد مَماتِها كما افتَخَروا بِها في حَياتِها، وهُم بذلك يخرجونَ عن أعرافَ مُجتَمَعِهم وتقاليدِه الخاصّةِ بالمَرأةِ كما خَرَجوا عن باقي منظومَةِ القيم الّتي جعلَتْ مِنهم جماعةً خاصة تتبادل العداء مع جميع الفرق الإسلامية يومئِذ، كما قال مالك المزموم في رثاءِ زوجِهِ أمِّ العَلاء[3]:

امـــرُرْ علـــى الجَـــدَثِ الّـــذي حَلّـــتْ بـــه ... أمِّ العَـــلاءِ فَنادِهـــا لَـــو تَسْـــمَعُ
أنّـــى حَلَلْـــتِ وكُنـــتِ جِـــدُّ فَروقَـــةٍ ... بَلَـــدًا يَمـــرُّ بِـــهِ الشُّـــجاعُ فَيَفـــزَعُ
صَـــلّى الإلـــهُ عَليـــكِ مِـــن مَفقـــودَةٍ ... إذ لا يُلائِمُـــكِ المَكـــانُ البَلْقَـــعُ
فَلَقَـــد تركْـــتِ صَـــبيَّةً مَرحومَـــةً ... لَـــمْ تَـــدرِ مـــا جَـــزَعٌ عَليـــكِ فَتَجْـــزَعُ
فَقَـــدَتْ شَـــمائِلَ مِـــن لِزامِـــكِ حُلـــوَةً ... فَتَبيـــتُ تَســـهَرُ لَيلَهـــا وتَفَجَّـــعُ
فـــإذا ســـَمِعْتُ أنينَهـــا فـــي لَيلِهـــا ... طَفِقَـــتْ عَلَيـــكِ شـــؤونُ عَينـــي تَـــدمَعُ

فهو يَبكيها ويَرِقُّ لِحالِ ابنته الّتي لا تُغادِرُ البكاءَ عليها والتَّفَجُّعِ لِفَقدِها ليلَ نهار، وهذه الصورة مِن صورِ رثاء المرأةِ لا نكاد نراها في هذا العصرِ إلّا عندَ شُعراءِ هذا الحزب.

الخاتمة

في ضوءِ ما تقدَّم يُمكنُ استخلاص عِدَّة نتائج فيما يخصُّ صورة المرأة في العصر الأموي؛ فقد كشف الفصلُ الأولُ مِن البحثِ عن مكانةٍ مرموقةٍ وصلَت إليها المرأةُ في هذا العصر بفعل التحولات الثقافية والحضارية التي أحدَثَتها الفتوحات الإسلامية، وما ترتَّبَ عليها مِن ثراءٍ ماديّ وتلاقحٍ فكري بين العناصر البشرية الوافدة مِن الحَضارَتَين الفارسية والرومانية، الأمرُ الذي أنتجَ حريّةً ملحوظةً للمرأة، وأوجَبَ إعادَة النظر في الكثيرِ مِن القِيَم الموروثة الخاصّةِ بالمرأة، فصارَ الرّجالُ على اختلافِ طبقاتِهم يَفخَرون بأمّهاتِهم وزوجاتِهم ونساءِ قبائلِهم، بشرفهنَّ وجمالهنَّ وغلاءِ مهورهنَّ بسبب هذه الصفات.

ولأنَّ المرأةَ محلَّ افتخار، أصبحت في الوقت نفسه رمزًا لشرفِ القبيلَةِ ومعيارًا لمَنَعَتِها وقوَّتِها، فالمرأةُ تعيشُ عزيزةً في كنفِ قبيلَتِها، ورجال القبيلة مُوكَلون بحمايَتِها مِن هجمات القبائِلُ المُعادية وصَونِها مِن مصير السبي. وقد عكس الشعراءُ هذه الصورة في غرض الهجاء، فسَخروا مِن قُبحِ نساء القبيلةِ المُعادية، وطعَنوا بشَرَفهنَّ أو عَراقَةِ نَسَبهنّ، وتهكّموا على رخصِ مهورهنّ، وعَيَروا الرجال بسَبيِ نسائِهم.

ومِن مظاهر علوّ مكانة المرأة، أنَّها أصبحت تُستَشارُ بما يخصُّ شؤونَها الذاتية، فتقبل الزّواجَ بمَن تشاء وترفضُ مَن تَشاء، وتطلبُ المَهر الّذي تُحِب، وتَشتَرِطُ ما تُريد. على أنَّ أهمَّ ما كشفَ عنه هذا الفصل مُستوى الحريّة التي تمتعَت بها المرأةُ في هذا العصر ومنحتها نضجًا عقليًا ونفسيًا سمحَ لها بالتعبير عن نفسها. وقد أشَّرَ الفصلُ وجود تفاوتٍ كبيرٍ في مستوى الحرية بين البيئَتَين البدوية والحضرية؛ فقد عانَتْ فيه المرأةُ البدوية مِن

(1) شعر الخوارج: ص65.
(2) يُنظر: خزانة الأدب: 351/5.
(3) المصدر نفسه: ص176- 177.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

قيودٍ اجتماعيةٍ خانقة، كان الرّقيب أظهرُ مَلامحها، ولطالَما حَرَمَتها هذه القيود مِن الاجتماع مع مَنْ تُحِب والزواج مِنه، وقد استسلمَت أغلبُ النساءِ لقانون المُجتمَع وخضعت لأعرافه، إلّا ما نَدَرَ مِنهن، وكذلك الحال بالنسبة للشعراء؛ فمِنهم مَن خضعَ للمُجتمَع، ومِنهم مَن انتفضَ بوجهه، ومِنهم مَن تَمَنّى الرَّحيلَ عنـه.

أمّا المرأةُ في البيئَةِ الحَضَرية فقد تمتَّعت بالحريّةِ بشكلٍ كبير، فَبُنِيَتْ شخصيّتُها، ونضجت فكريًا ونفسيًا، واستثمَرَتْ حُريّتَها في المُشاركةِ بالعديدِ مِن الأنشطةِ الاجتماعيَّةِ والأدبية، واشتهرت العَديدُ مِن نساءِ الأشراف، وصرنَ حديثَ الشعراء ومادةً لأشعارهم.

وكانتْ نتيجةُ هذا الاختلاف بين البيئَتَين أنْ افتَرَقَ شعراءُ هذا العصر في تشكيلِ صورةِ المرأةِ مِن الناحيةِ الوجدانية، بينَ مَن رَكَّزَ على الصورةِ العاطفيةِ التي تبحثُ في كُنهِ الذات الأنثوية وتسعى إلى فَهمِها واستجلاءِ مَكنونِها، وهم الشُعراء العذريّون؛ وبينَ مَن رَكَزَّ على الصورةِ الحِسّيةِ وسعى إلى رسمِ تفاصيلِ المَرأةِ الجَسدية، وهم الشعراءُ الحِسّيّون، ومِنهم مَن جعل المرأةَ وصورتَها مَركَزًا تدورُ حولَه أشعارُه، كمجنون ليلى وغيرِه مِن العشّاق، وبينَ مَن جعلَ مِن ذاتِه مَركَزًا تدورُ حولَه المَرأةُ وتَسعى إلى تشكيلِ صورَتِها ومَلامِحِها المُؤَثِّرَةِ لَدَيه، كما فعل عمر بن أبي ربيعة.

وبخصوصِ الجواري ودورهنَّ في المُجتمَع، كشفَ البحثُ عن تناقضٍ صارخٍ بين مكانتهنَّ في قصور الخلافةِ ومكانتهن في المجتمع، فقد تمكّنت مِن القصرِ حتى صارت تُنصِّبُ الخَلِيفةَ الّذي تَشاءُ وتَعزِلُ مَن تَشاء، وسجّلَت في بعضِ الحالات تفوّقًا في الشخصية على المَرأةِ العربيةِ وإنْ كانتْ زَوجُ الخليفة. إلّا أنَّ المُجتمع تعامَل مَع الجواري وأبنَائِهِنَّ بشيءٍ من العنصريةِ المَقيتة، وقد التزَم أهلُ المدينةِ بهذه النظرة الدونية لأبناءِ أمّهات الأولاد إلى أنْ نشأ فيهم بعضُ الأشراف مِن أمّهاتٍ أعجميّات، وعلى رأسِهم عليُّ بنُ الحُسين.

كما رَصَدَ هذا البحثُ مُفارقةً اجتماعيَّةً صارخة، وذلك في غرضِ الرّثاء، فقد بقيَت رواسبُ بعضِ القيَم الجاهليةِ الرافضةِ لرثاءِ المَرأة، وتعدُّهُ أمارَة ضَعفٍ بالرجل، وقد استجابَ أغلَبُ شعراءِ هذا العصر لهذه النَظرة، وحالفَها قليلٌ مِنهم.

وخَلُصَ الفصلُ الثاني إلى أنَّ المرأةَ في هذا العصرِ كانَ لها دَورٌ بارزٌ في الحياةِ السياسية، سواءٌ قامَت به هي بنفسِها أو أنَّها أُقحِمَتْ به عن طريقِ الشُّعراءِ. واختلَفَت صورَةُ المرأةِ عِندَ كُلِّ حزبٍ مِن الأحزابِ الّتي سادَت العصرِ الأمَوي؛ فالمرأة الثرية المُترفة اللاهية هي الصورَةُ الّتي كانتْ عليها في الحزبِ الأمَوي.

وقد وظَّف الزبيريّون، وعلى لسانِ شاعرهم الأول ابن قيس الرقيات، المرأةَ في صراعهم مع السلطةِ الأمَوية، فكانت مادةً للطعنِ والهجاء عن طريقِ الغزلِ الكيديّ.

في حين رسم الشعرُ الشيعي صورةً للمرأةِ تقومُ في جانبٍ مِنها على الشجاعة والثَّبات والوفاء، وفي جانبٍ آخَر وَظَّفها الكُميت -وهو شاعرهم الأول- في مَطالعِ قصائدِهِ السياسية، ولاسيما الهاشميات، ولكنَّه توظيفٌ سَلبيٌّ مُعاكِسٌ لِما دَرَجَ عليه الشعراءُ في مُقَدِّماتِهم الغزلية، فهو يذكرها لينفي تعلّقه بها وطربه إليها؛ لأنَّ قلبَه وَقفٌ لِحُبِّ النّبي وأهلِ بَيتِه.

في حين نرى المرأة المُناضلة المُحاربة القائدة في الحزبِ الخارجيّ، وهي بعدُ امرأةٌ صابرةٌ على ما يَحِلُّ بها مِن مَصائب، ولا نعدَم أنْ نراها مُنكسرةً حزينة، يؤلِمُها الفراق، ويُضنيها فَقدُ الأحِبّة، وقد يدعوها ذلك إلى لومِ زوجِها ودعوَتِه لترك القتال، ولكن لا فائدةَ مِن دعوَتِها تلك؛ لأنَّ الخارجيّ لا يتنازل عن عقيدَته ولو مِن أجلِ حبيبَتِه، كما كانتْ صورَةُ الوفاءِ واضحةً عند رجال هذا الحزب، إذ برزَت هذه الصورة في غرض الرثاءِ عندَهم، فبَكوا نساءَهم بعد المَمات كما أحَبّوهنَّ وأكرَموهُنَّ في الحَياة.

المصادر

1. الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، عن طبعة بولاق الأصلية، دار صعب، بيروت، (د. ت).
2. أمالي ابن دريد الأزدي: تحقيق السيد مصطفى السنوسي، قسم التراث العربي، ط1، 1984م.
3. تاريخ الرسل والملوك: ابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د. ت).
4. تاريخ النقائض في الشعر العربي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، 1993م.
5. تراجم سيدات بيت النبوة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م.
6. تزيين الأسواق في أخبار العشّاق: داود الأنطاكي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1984م.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

7. حديث الأربعاء: طه حسين، دار المعارف، مصر، 1954م.
8. الحضارة العربية الإسلامية: د. علي حسن الخربوطلي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ت).
9. حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة: د. يوسف خليف، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، 1968م.
10. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام.
11. محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1989م. الدرّ المَنثور في طبقاتِ رَبّاتِ.
12. الخدور: زينب بنت فواز العاملي، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، (د. ت).
13. ديوان أبي دهبل الجمحي: رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف، 1972م.
14. ديوان الأخطل: صنعة السكري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الأصمعي، حلب، ط1، 1971م.
15. ديوان العرجي:رواية أبي الفتح عثمان بن جني، شرحه وحقّقه: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، ط1، 1956م.
16. ديوان الفرزدق: شرحه وضبطه وقدّم له: الأستاذ علي فاعور، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
17. ديوان الوليد بن يزيد: جمعه وحققه: غابريلي، جامعة روما، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط3، 1967م.
18. ديوان جرير: تحقيق: د. محمد نعمان وأمين طه، دار المعارف، مصر، 1969م.
19. ديوان جميل: شرح وتصنيف: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
20. ديوان عبد اللهِ بن قيسِ الرّقَيّات: تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، 1958م.
21. ديوان عُمَر بن أبي ربيعة: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، ط4، 1988م.
22. ديوان قيس بن الملوح: جمع وتحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، مصر، 1960م.
23. ديوان كثير: جمع وشرح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1971م.
24. ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، 1977م.
25. ديوان محمد بن بشير الخارجي: جمعه وحققه: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1985م.
26. شعر الأحوص الأنصاري: جمعه وحقّقه: عادل سليمان جمال، الهيئة المصرية العامة للتأليف، مصر، 1970م.
27. شعر الحارث بن خالد المخزومي: د. يحيى الجبوري، منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، ط1، 1972م.
28. شعر الخوارج: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1974م.
29. شعر العجير السَّلولي: صنعة: محمد نايف الدليمي، (من دون بيانات نشر).
30. شعر الكميت بن زيد الأسدي: جمع وتحقيق: د. داود سلوم، مطبعة النعمان، بغداد، 1969م.
31. شعر النعمان بن بشير الأنصاري: حققه وقدم له: يحيى الجبوري، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1976م.
32. شعر هدبة بن الخشرم: جمعه وحققه: د. يحيى الجبوري، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1976م.
33. العصر الإسلامي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط12، (د. ت).
34. العقد الفريد: ابن عبد ربّه الأندلسي، شرحه وضبطه ورتّب فهارسه: أحمد أمين، وإبراهيم الأبياري، وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.
35. في الشعر الإسلامي والأمَوي: د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
36. قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي: حسين عطوان، دار المعارف، مصر، (د. ط)، 1974م، ص625.
37. مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، دار الأندلس للطباعة، بيروت، (د. ت).
38. مَن لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، أشرف على تصحيحه وطبعه والتعليق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1986م.
39. موسوعة شعراء العربية-شعراء العصر الأموي: فالح نصيف الحجية الكيلاني، (من دون معلومات عن النشر)، المجلد الثالث.
40. نقائض جرير والأخطَل: تأليف الشاعر أبي تمام، عُني بطبعها وعلَّق حواشيها: أنطوان صالحاني اليسوعي، المكتبة الكاثولوكية، دار المشرق، بيروت، 1922م.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (20) أبريل 2021
Volume (20) April 2021
IJOHSS

References

1. Al_aghani: Abu Al-Faraj Al-Asfahani, on the original edition of Bulaq, Dar Saab, Beirut, (N.D).
2. Amali Ibn Duraid Al-Azdi: An investigation by Mr. Mustafa Al-Senussi, Department of Arab Heritage, 1st Edition, 1984 AD.
3. History of the Messengers and Kings: Ibn Jarir al-Tabari, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, Egypt, 2nd ed., (N.D).
4. A History of Contradictions in Arabic Poetry: Ahmad Al-Shayeb, The Egyptian Renaissance Library, Egypt, 3rd Edition, 1993 AD.
5. Translations of the Women of the House of Prophethood: Aisha Abd al-Rahman bint al-Shati, Arab Book House, Beirut, 1988 AD.
6. Decorating the Souks in Lovers' News: Daoud Al-Antaki, Al-Hilal Library House, Beirut, 1984 AD.
7. Wednesday Hadith: Taha Hussein, Dar Al Maaref, Egypt, 1954 AD.
8. The Arab Islamic civilization: Dr. Ali Hassan Al-Kharboutly, Al-Khanji Library, Cairo, (N.D).
9. The life of poetry in Kufa to the end of the second century of the Hijra: Dr. Youssef Khalif, Arab Book House for Printing, Cairo, 1968.
10. The treasury of literature and the core of the door of the tongue of the Arabs: Abd al-Qadir bin Omar al-Baghdadi, edited by: Abd al-Salam.
11. Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Egypt, 3rd Edition, 1989 AD. Durr strewn in layers of rabat.
12. Khadur: Zainab bint Fawaz Al-Amili, Ibn Qutaybah Library, Kuwait, (N.D).
13. The Court of Abi Dahbel Al-Jamhi: The narration of Abu Amr Al-Shaibani, edited by: Abdul-Azim Abdul-Mohsen, Al-Qada Press, Najaf, 1972
14. Diwan Al-Akhtal: The Sanna of Al-Sukari, investigation by: Dr. Fakhr Al-Din Qabawa, Dar Al-Asma'i, Aleppo, 1st floor, 1971 AD.
15. Diwan Al-Araji: The narration of Abi Al-Fath Othman bin Jani, explained and edited by: Khader Al-Tai and Rasheed Al-Obaidi, The Islamic Company for Printing and Publishing, 1st Edition, 1956 AD.
16. Divan Al Farazdaq: Explained and Controlled. It was presented to him by: Professor Ali Faour, The Scientific Library, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1987 AD.
17. Al-Walid Bin Yazid's Divan: Compiled and Verified: Gabrieli, University of Rome, Dar Al-Kitab Al-Jadid, Beirut, 3rd Edition, 1967 AD.
18. Diwan Jarir: investigation by: Dr. Muhammad Numan and Amin Taha, Dar Al Ma'arif, Egypt, 1969.
19. Diwan Jamil: Explanation and Classification: Mahdi Muhammad Nasir al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1987 AD.
20. The office of Abdullah bin Qais al-Ruqayyat: An investigation and explanation: Dr. Muhammad Yusuf Najm, Dar Sader, Beirut, 1958 AD.
21. The Diwan of Omar bin Abi Rabi'a: Edited by: Muhammad Muhi al-Din Abd al-Hamid, Dar Al-Andalus, 4th Edition, 1988 AD.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
2021 أبريل (20) العدد
Volume (20) April 2021
IJOHSS

22. The Court of Qais Ibn Al-Mallouh: Collection and Investigation: Hussein Nassar, Misr House for Printing, Egypt, 1960 AD
23. Collection of Many Books: Collection and Explanation: Ihssan Abbas, House of Culture, Beirut - Lebanon, 1971.
24. The Diwan of Majnun Layla: Collection and Investigation: Abd al-Sattar Ahmad Farraj, Dar Misr for Printing, 1977 AD.
25. Muhammad bin Bashir's External Diwan: Compiled and Verified by: Muhammad Khair al-Buqai, Dar Qutayba, Damascus, 1st Edition, 1985 AD.
26. Al-Ahwas Al-Ansari's Poetry: Compiled and Verified by: Adel Suleiman Gamal, Egyptian General Authority for Authorship, Egypt, 1970 AD.
27. The poetry of Al-Harith bin Khalid Al-Makhzoumi: Dr. Yahya Al-Jubouri, Al-Andalus Library Publications, Baghdad, 1st Edition, 1972 AD.
28. The Poetry of the Kharijites: Ihssan Abbas, House of Culture, Beirut, 3rd Edition, 1974 AD.
29. Al-Ajeer Al-Selouli Poetry: The Worker: Muhammad Nayef Al-Dulaimi, (without publication data).
30. The poetry of Al-Kumait Bin Zaid Al-Asadi: Collection and investigation: Dr. Dawood Salloum, Al-Nu`man Press, Baghdad, 1969.
31. The poetry of Nu`man bin Bashir Al-Ansari: It was investigated and presented to it by: Yahya Al-Jubouri, Ministry of Culture and Guidance, Damascus, 1976 AD.
32. Hadbah bin Al-Khashram's poetry: collected and verified by: Dr. Yahya Al-Jubouri, Ministry of Culture and Guidance, Damascus, 1976 AD.
33. The Islamic Age: Dr. Shawky Dhaif, Dar Al Maaref, Egypt, 12th floor, (N.D).
34. The Unique Contract: Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi, Explained, Controlled and Arranged by Indexes: Ahmed Amin, Ibrahim Al-Ibari, and Abd Al-Salam Haroun, Dar Al-Kitaab Al-Arabi, Beirut, 1983 AD.
35. In Islamic and Umayyad poetry: Dr. Abdul Qader Al-Qatt, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1979.
36. The Praise Poem to the End of the Umayyad Era: Hussein Atwan, Dar Al Maaref, Egypt, (N.D) 1974 AD, p. 625.
37. Mourouj Al-Dahab and Al-Jawhar Metals: Al-Masoudi, Al-Andalus House for Printing, Beirut, (N.D).
38. Whoever does not attend the Faqih: Sheikh Al-Saduq, who supervised the correction, printing and commentary on it: Sheikh Hussein Al-Alami, Publications of Al-Alamy Foundation for Publications, Beirut, 1st Edition, 1986 AD.
39. Encyclopedia of Arab Poets - Poets of the Umayyad Era: Faleh Nassif Al-Hajiya Al-Kilani (without information on publication), Volume Three.
40. The Negations of Jarir and Al-Akhtal: Written by the poet Abi Tammam, concerned with its printing and annotated by: Antoine Salhani Al-Jesuit, The Catholic Library, Dar Al-Mashriq, Beirut, 1922 AD.

DOI: 10.33193/IJoHSS.20.2021.219